من الرسل الى وسلي

الكمال المسيحي عبر الزمن

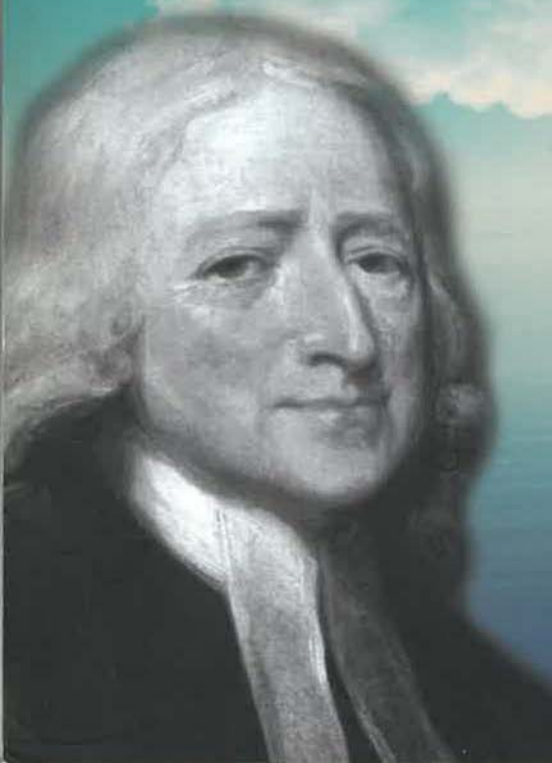

د.وليام جريتهاوس

ملاحظة الى القارىء :

إن أراد أحد أن يفهم معنى وعقيدة القداسة الكاملة أو الكمال المسيحي كما بيّنه جون وسلي، عليه أن يدرس الحجارة الأساسية التي بنى عليها وسلي عقيدته. هذا الكتاب المُشرق يتضمّن بشكلٍ موجزٍ وبعناية، هذه التطورات التي تعود الى عهد الرسل.

«أطروحة هذه الدراسة»، كما قال الكاتب في التمهيد، «هو أنّ تعليم الكمال المسيحي مُستقٍ جوهرياً من الكتاب المقدّس، وأنّ العقيدة الوسلية، بعيداً عن أن تكون تعضباً طائفياً، هي في الحقيقة، بكلمات جورج كروفت سل: صياغة فريدة وأصلية لأخلاق النعمة البروتستانتية ومثالية القداسة الكاثوليكية».

منشورات ينبوع الحياة
www.solp.me

ISBN 978-9953-0-2565-0
9 789953 025650 >

من الرسل الى وسلي

الكمال المسيحى عبر الزمن

تأليف

د.وليام جريتهاوس

المحتوى

المحتوى ٥

تقديم ٧

تمهيد ١١

الفصل الأول: بيان العقيدة ١٥

الفصل الثاني: العقيدة الكتابية ٢٥

الفصل الثالث: الكنيسة الأولى ٤٧

الفصل الرابع: المسيحية الأفلاطونية ٥٧

الفصل الخامس: الكمال الرّهباني ٧٣

الفصل السادس: أوغسطين ٩٣

الفصل السابع: التعليم الكاثوليكي ١٠٧

الفصل الثامن: لاهوت الإصلاح ١٣٣

الفصل التاسع: الكمال في فترة ما بعد الإصلاح ١٤٣

الفصل العاشر: العقيدة الوسلية في الكمال ١٥٧

المراجع: ١٧٩

From The Apostles To Wesley

Christian Perfection in Historical Perspective

By William M. Greathouse ©

Copyright, 1979

Global Nazarene Publications

Printed with permission of William M. Greathouse of Mt Juliet, Tennessee, USA.
All Rights Reserved ®

عنوان الكتاب: من الرسل الى وسلي
تأليـف: وليم م. جريتهاوس
ترجمة: واثق حدادين
ISBN 978-9953-0-2565-0

منشورات ينبوع الحياة

©جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى كانون الأول ٢٠١٢

تقديم

احتلّ وليم. م. جريتهاوس (W.M.Greathouse) لوقت طويل مكانة في الصفوف الأمامية بين الدارسين والمؤرّخين والمفسّرين لعقيدة الكمال المسيحي الكتابيّة. وقد أضاف لدراساته الأولى الممتازة – ومن بينها *The fullness of the Spirit* (١٩٥٨)– معالجة مميّزة للصياغة التاريخية للتعليم الكتابي حول موضوع الخلاص الكامل.

يُرى هذا التعليم، بأي تفسير نقدي، على أنّه لاهوت ظهر مؤخّرًا أو أنّه "تعصّب طائفي"، إنّ كتاب "*من الرسل إلى وسلي*" يبدأ بذكر نصّ صافٍ ومُشرق لعقيدة القداسة (الفصل الأول)، ويتجاوز ذلك بأنْ يعطي الأساس الكتابي لها (الفصل الثاني).

وببراعة فائقة ومهارة عالية وشمولية كتلك التي لنيوتن فلو (Newton Flew) في عمله (*The Idea of the Christian perfection*)، يرسم لنا د. جريتهاوس في الفصول الثمانية الباقية الطرق التي تطوّرت وفسِّرت فيها العقيدة عبر تاريخ الفكر المسيحي. يهتمّ المؤلّف بالمفسّرين المسيحيين الرئيسيين في كلّ حقبة زمنية، من خلال مساهماتهم المميّزة، ويتمّ تقييمهم في ضوء التعليم الكتابي.

وحياتهم، والّذين يرغبون ويتوقون لتطابق متنامٍ مع فكر المسيح، سوف يجدون هذا التوق يزداد بقوة أكثر من السابق.

من خلال قلم وقلب شخص يجمع بين المستوى العلمي العالي للمعلّم، وروح مشابهة المسيح الدافئة، وإخلاص ناضج بالإنتماء للكنيسة، فإنّ المرء سيسمع بوضوح نداء الروح لحياة القداسة.

جون نايت (**John A. Knight**)
رئيس كلية (بيت عنيا) الناصري
أوكلاهوما

ووجهة نظر كاتبنا مبنية على أساس كتابي وعقائدي صحيح. مقالاته النقدية في كلّ مرحلة تطوّر تاريخية هي مؤسّسة على كلمة الله، ومفعمة بالحيوية من خلال الحوار مع الماضي.

يشعّ الفصل الخامس بالتحديد بإنارة فكرية جليّة، خاصةٌ بسبب المكانة التي أُعْطيت "لمكاريوس المصري"، بِغَضّ النظر عمَّا إذا كانت كتاباته منقولة عن جريجوري النيسي أم لا، كما يشير بعض المختصّون. ويجري في الفصل الخامس إثبات تأثير مكاريوس على وليام لو (**William Law**) وجون وسلي (**J.Wesley**) ليكون هذا التأثير أعظم وأوضح عمّا كان معروفًا في السّابق. إنّ إظهار هذه العلاقة بحدّ ذاته، علاوة على العديد من المقاطع النافذة البصيرة، يُعتبر مساهمة متميّزة في أدب القداسة.

لا يستطيع أحد، يريد فهم تعليم جون وسلي في الكمال المسيحي، والتيارات اللاهوتية التي تدفّقت نحوه ومنه، أنْ يغفل أو يتجاوز دراسة هذا الكتاب. الكثير من التفسيرات المسيئة الفهم، يمكن أن تصحَّح بلطف من خلال القراءة المتأنّية لهذا الكتاب. وإذا كان القارئ متمرّسًا في الأمور اللّاهوتية أو أنّه مُبتدئ في القضايا العقائدية، فإنّه سيخرج بفائدة عظيمة لدى قراءته هذا الكتاب.

سيكون رعاة الكنائس، المعلّمون والعلمانيون مُعَدِّين بشكل أفضل لإعلان وحمل شهادة القداسة المسيحية، وحقّها الكتابي المجيد والمجاهرة به أيضًا. ولجميع الّذين يسعون بجدية لقداسة قلوبهم

تمهيد

ما هو أصل العقيدة الوسلية بخصوص الكمال المسيحي؟ هل أتت وتطوّرت بشكلٍ كامل من فِكر جون وسلي، كما انبثق مينرفا (إله الحكمة عند الرومان) من رأس جوبيتر (كبير آلهة الرومان)، أمْ أنّها كانت تعليمًا مُنعِشًا وخلّاقًا لِحَقٍّ كان وما زال في قلب الإيمان المسيحي؟

أطروحة هذه الدراسة هو أنّ تعليم الكمال المسيحي مُشْتقّ جوهريًّا من الكتاب المقدّس، وأنّ العقيدة الوسلية بعيدة عن أنْ تكون تعصّبًا طائفيًّا، هي في الحقيقة، بكلمات جورج كروفت سل (George Croft Cell):

"صياغة فريدة وأصليّة" لأخلاق النّعمة البروتستانتية ومثاليّة القداسة الكاثوليكية. يقودنا المسح التاريخي للفكر المسيحي إلى استنتاج أنّ عقيدة الكمال المسيحي- التي لم تُفهَم فقط على أنّها فكرة نهائية ومُطْلَقة، بل على أنّها اختبار يُمْكِن إدراكه لنقاوة القلب والمحبّة المكمَّلة، ويجعل من النمو المتزايد والمستمرّ لمشابهة صورة المسيح أمرًا مُمْكِنًا- ليست "سذاجة لاهوتية" ولكنّها قناعة راسخة حازت على قبول الكثير من اللّاهوتيّين في الكنيسة المسيحيّة عبر

النعمة الإلهية القادرة على نقل الإنسان من الخطيّة وتكميله في المحبّة.

وقد وضع كولن وليامز (Colin Williams) العقيدة الوسلية بمنظورها المناسب عندما كتب: "إنّها فقط في سياق التعبير النهائي للحياة المسيحية ممثّلة في اللّاهوت الوسلي، الذي يمكن فهم عقيدته في الكمال المسيحي، حيث الكمال هو ذروة الإيمان غير المحدود في نعمة الله التي تشعّ في كلّ جزء من أجزاء اللّاهوت الوسلي. وهنا تظهر ذروة لاهوت وسلي" (*John Wesley's Theology Today*, p. 347). وهذه هي الفرضية التي يعتمد عليها هذا الكتاب وهي أنّ العقيدة الوسلية تمثّل أجمل أزهار الإيمان المسيحي. المرجع الأساسي في هذا الموضوع هو مل ر. نيوتن. فلو "*Idea of perfection*" (Oxford University Press, 1934).

وجميع الذين يعرفون هذا الكتاب سوف يميّزون مدى تأثيره على فقرات متعدّدة من كتابنا هذا في طبعته الحالية، وخاصة في التعامل مع موضوع توما الأكويني. ولا يستطيع أي دارسٍ لموضوع الكمال تجاهل هذه التّحفة الفنية لنيوتن فلو.

مادّة هذه الفصول هي في الأصل مجموعة من المحاضرات للمؤلّف عُقِدت في مؤتمر القداسة الوطني المكسيكي في

القرون. وقد انضمّ إلى القدّيس بولس، والقديس بطرس، والقديس يوحنا من كنيسة العهد الجديد في هذا الإيمان عظماء مثل: إيرينايوس, كليمنت وأوريجين الاسكندريين، جريجوري النيسي، أغسطين من هيبو وتوما الأكويني " اللاهوتي الملائكي" للاهوت الرّوم الكاثوليك.

وبينما يمكن أن يشار إلى أغسطين كمحامٍ لهذا الحقّ، إلّا أنّ نظرته التشاؤمية لعقيدة الخطيّة الأصليّة، مع انطباعها العام بتعذّر استئصال الرغبة الملحّة في الإنسان لارتكاب الخطيّة، كانت الخصم الأعظم الوحيد لهذه العقيدة، خاصة في البروتستانتية. وبظهور فكرة بيلاجيوس(Pelagius) المخالفة تمامًا لأغسطين، عملت هذه الفكرة على زعزعة وتهميش الثقة الأولى لأغسطين في احتمالات عمل نعمة الله، وأصبحت هي الفكرة المميّزة والشائعة للّاهوت اللوثري والإصلاحي. الجزء المتبقّي من عقيدة أغسطين هو وجهة النظر القائلة أنّ طبيعة الإنسان خاطئة وغير قابلة للإصلاح قبل القيامة من الأموات. لم يلتصق جون وسلي بهذا الرأي الهيليني (الإغريقي) عن طبيعة الإنسان والخطيّة. وتحت قيادة آباء الكنيسة الشرقية خصوصًا، وبمصاحبة بعض المعلّمين الكاثوليك، وجد جون وسلي طريق العودة إلى الكلمة المقدّسة نفسها، وهناك اكتشف العقيدة اليهودية في موضوع الخطيّة الأصلية (على أنّها كفر، كبرياء، محبّة الذات) واستردَّ الثقة الرسولية في عدم محدودية قوّة

الفصل الأول

بيان العقيدة

يعلّق جون مورلي(John Morley)، في مقالته عن فولتير، أنّ القداسة: "هي الأعمق بين الكلمات الّتي تفوق الوصف".[١] وقد طوّر رودلف أوتو(Rudolph Otto) لاحقًا هذا الفكر في عمله الكلاسيكي "The Idea of the Holy"[٢] والذي يناقش فيه أنّ اختبار القدّوس ("مدركة بالمصنوعات" التي كتبها بولس إلى أهل رومية ١: ١٩-٢٠) هو جوهر الديانة. أن تكون إنسانًا معناه أن تتواجه مع الله القدّوس. ولهذا السبب، فإنّ مفهوم القداسة، بهذه الصيغة أو بأي صيغة أخرى، قديم قِدَم الدّين نفسه.

وإذا ما تكلّمنا كتابيًا، فأصل القداسة هو في الأبدية. "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكلّ بركة روحية في السماويات، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قدّيسين وبلا لوم قدّامه في المحبّة" (أف١: ٣-٤).

القداسة *تجمع متطلّبات الناموس*. في إجابته عن السؤال "أية وصية هي العظمى في الناموس؟" اقتبس يسوع من تثنية ٦: ٤-٥ , ومن لاويين ١٩: ١٨ فأجاب: "... تحبّ الرب إلهك من كلّ قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى.

جوادالاهارا، في شباط ١٩٧٨ وفيما بعد تمّ التوسّع في هذه المحاضرات وترجمتها إلى الإسبانية بواسطة د. سيرجيو فرانكو, وقد طُبِعت بواسطة (Casa Nazarena Publicaciones) تحت عنوان: " *Desde de Apostoles Hasta Wesley, Un Resumen de la perfeccion Cristiana*". وأنا مدين بالامتنان للدكتور ريزا (H.T.Reza)، مدير مجلس المطبوعات العالمي لكنيسة النّاصري، الذي شجّعني على كتابة مسودّة هذا الكتاب، ووضعه في صورته النّهائية، إنّه إيمان راسخ ابتدأ معي عندما كنت طالبًا في الجامعة كان يظهر من وقت لآخر في غرفة الصّفّ أو من على منبر الوعظ. كما أنّي ممتن أيضًا للسيدة. جين فان نوت (Gene Van Note) والآنسة. ميري آن فاغنر (Mary Ann Wagner) لمساعدتهما في طباعة وتحضير نَصّ هذا الكتاب للطباعة.

وليام م. جريتهاوس

تحمل عقيدة الكمال المسيحي أو القداسة المسيحية تعليمًا مجيدًا أنّ، من خلال كفاية ذبيحة المسيح، ووساطة الروح القدس، وعلى شرط الإيمان البسيط، هذه جميعها تعطي الثقة في المسيح أنه يطهّر المرء من الخطية الأصلية، أو الفساد، ويضعه في حالة من التكريس الكامل لله وبمحبة غير أنانية لأتباعهم.

هذا هو ما يعنيه أن تكون كاملًا بالمعنى الكتابي الذي نؤمن به. ولكلمة "كامل"عدة معانٍ، ويشرحها جون وسلي بقوله: "تعني المحبة المكمَّلة، المحبة التي تقصي الخطية وتبعِدها، محبة تملأ القلب وتأخذ كامل سعة النفس".(٤)

أ. التقديس:

إن لكلمة تقديس (Sanctification)، مثلما لكلمة قداسة (Holiness)، معانٍ مختلفة يجدر بنا أن نلاحظها.(٥)

١-التقديس بشكل عام (Sanctification in general)

بشكلٍ عام، فإنّ كلمة تقديس تشير إلى كامل العملية التي يصبح فيها الإنسان مسيحياً مؤمناً ويبقى كذلك. ويشرح لوكر (Lueker) ذلك بقوله: "تشمل كلمة تقديس، بمعناها الواسع، كلّ تأثيرات كلمة الله، الناتجة في قلب وحياة الإنسان، ابتداءً من ولادته الجديدة وانتقال روحه من الموت الروحي إلى الحياة الروحية، ويُتوَّج بالكمال الروحي في الحياة الأبدية.(٦)

والثانية مثلها تحبّ قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كله والأنبياء" متى٢٢: ٣٦-٤٠.

والقداسة أيضًا هي *وعد كلمة الله*. فمن الغريب للغاية، أن نجد هذا الوعد في العهد القديم "ويختن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك، لكي تحبّ الربّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا" (تث٣٠: ٦). وقد اختار جون وسلي هذه الفكرة لتكون أساس موضوع عظته الأولى عن الكمال المسيحي في جامعة أكسفورد. ويصف لنا وسلي بنفسه هذه المناسبة:

> "في ١/ كانون الثاني/ ١٧٣٣، قمت بالوعظ لطلاب جامعة أكسفورد في كنيسة القديسة مريم عن موضوع "ختان القلب" وإليكم وصف ما قدّمته في هذه الكلمات: "إنها تلك النزعة الناشئة في النفس والتي يُصطلح على تسميتها في الكتاب المقدس "بالقداسة" والتي تتضمّن مباشرة التطهير من كلّ الخطايا، ومن كل دنس الجسد والروح كليهما، وكنتيجة، يُمنح المرء كل المزايا والفضائل التي كانت في يسوع المسيح، أن يكون متجدّدًا في صورة الفكر، ويكون أيضًا "كاملًا كما أنّ الآب السماوي كامل". وفي نفس العظة أبدَيْت ملاحظاتي أيضًا: "إنّ المحبة هي تتميم للناموس وهي أعلى جميع الوصايا. هي ليست الوصية الأولى والعظمى فحسب، بل هي جميع الوصايا في وصية واحدة. كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما فيه فضيلة، كل ما فيه مدح، هذه جميعها تقارَن بكلمة واحدة هي المحبة. في المحبة يكون الكمال، المجد والسعادة. إن القانون الملكي في السماء وعلى الأرض هو "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك".[٣]

الصليب. إنَّ "الكمال الموضعي" (Positional perfection) مُصْطلح مرادف "للتقديس الموضعي" (Positional Sanctification)، وقد تمّ "دفع ثمنه على الصليب بموت يسوع المسيح لأجل كل مؤمن، وهو مُلْكٌ لكلّ مؤمن من اللحظة التي آمن فيها".(٩)

ويقبل الوسليّون وجهة النظر هذه، بما أنّها مَبْنِية على تعليم من الكتاب المقدس. ويقول تيرنر (Turner) أنّ التقديس: "هو أن تُنْسَب القداسة لأشخاص بسبب علاقتهم الشخصية مع الله. وبهذه النظرة يمكن القول أنّ كلّ المسيحيين المؤمنين مُقدّسين وقديسين. وتُعْتَبَر الكنيسة مجتمعاً منفصلًا، طبيعته أن يكون مقدّسًا".(١٠)

من وجهة النظر الوسلية، التقديس هو أكثر من مجرد علاقة ذات هدف مع الله من خلال المسيح. حتّى هذه اللحظة، العلاقة الجديدة مؤسّسة على الإيمان بيسوع المسيح، والمؤمن المبرَّر يقبل الروح القدس ويختبر بدايات التقديس الأخلاقي. ونطلق على بدء هذه الحياة الروحية مصطلح التقديس الأولي.

٣- التقديس الأولي (Initial Sanctification)

في ردِّه على سؤال يتعلّق بالوقت الذي يبدأ فيه عمل التقديس، أجاب وسلي: "في اللحظة التي نتبرّر فيها تتمّ زراعة بذور جميع الفضائل في نفوسنا. ومن تلك اللحظة يبدأ المؤمن

ويؤكّد كاتب آخر أنَّ "التقديس هو عمل روح الله القدّوس الذي يحرِّر الإنسان من ذنب الخطيّة وقوّتها، ويكرّسه لخدمة الله ومحبّته، ويمنحه من البداية وبشكل مستمرّ، ثمار فداء المسيح ونِعَمَ حياة القداسة".(٧)

٢- التقديس الموضعي (Positional Sanctification)

أيَّد اللاهوتيون اللوثريون والكالفينيون بشكل عام، فكرة التقديس أو القداسة الموضعية. وقد كتب أحد الكتّاب المعاصرين عن لوثر ما يلي:

"لأنّ الإيمان يستقبل ويقبل هبة الله المجانية، وهكذا يصير الناس قديسين بالإيمان، فكلمة "مُقدّس" مساوية لكلمة "إيمان أو تصديق". القديسون، أو الأشخاص المُقدَّسون، هم المؤمنون، وأن تكون مُقَدّسًا معناه أنك صرْتَ مؤمنًا. في شرح لوثر ينتقل التشديد مِنْ يقدِّس ومُقدّس إلى إيمان وجعل الشخص يؤمن، باستثناء ذلك، لا يوجد فارق حقيقي بين الاثنين".(٨)

ويشرح جون ف. والفورد (John F.Walvoord) أنّ "الكمال أو التقديس الموضعي يظهر ليكون مُلكًا لكلّ مؤمن... وهو بذلك كمال مُطلق، دفع ثمنه المسيح على الصليب. وهنا لا توجد أية إشارة لنوعية وجودة حياة المسيحيين المؤمنين. ومسألة اللاخطية ليست المقصودة هنا. وجميع القديسين (المُقدّسين) هم شركاء في الكمال الذي أنجزه يسوع بموته على

مكانة المولود ثانية والتائب عن الخطية منسجمة، بشكل تدريجي مع الإرادة السماوية، وهذه هي عطية التقديس السّخية".(١٤)

والتعليم المميّز لجون وسلي، هو أنّ عَمَل التقديس الداخلي هذا يمكن أن يُختصَر في "لحظة"، بالإيمان، عندما يتمّ تطهير القلب من جذر الخطية الداخلي- الكبرياء، العناد والتشبّث بالرأي، الإلحاد، أو عبادة الذات- وتكميله في محبة الله. ونتيجة لهذا التطهير العميق لقلب المؤمن، يصبح بمقدوره أكثر أن ينمو إلى مشابهة صورة المسيح الكاملة. وورد في الفقرة العاشرة من كتيّب عقيدة الناصري:

نحن نؤمن أنّ نعمة التقديس الكامل تتضمّن الباعث على النمو في النعمة. لكن، هذا الباعث يجب أن يتغذّى باستمرار، ويجب أن يُعْطى انتباهًا شديدًا للأمور الضرورية، ولعملية التطوّر الروحي والتقدّم في شخصيتنا إلى صورة مشابهة المسيح. بدون هذا المسعى الهادف فإنّ شهادة المرء تضعف وتفشل النعمة وبالتأكيد تُفْقد.

٥- التقديس الكلي (Entire Sanctification):

يضع جون وسلي عقيدة التقديس الكلّي في سياقها المناسب في عظته "تتميم خلاصنا"، فيقول:

"بالتبرير تمّ خلاصنا من ذنب الخطية، تمّت إعادتنا إلى جانب الله؛ أمّا بالتقديس فقد تمّ خلاصنا من قوة الخطية وجذرها، وتمّت إعادتنا إلى صورة الله. ومن خلال الآيات الكتابية والاختبار، يمكننا أن نرى أن الخلاص فوري لحظي وتدريجي. يبدأ في اللحظة

بالموت التدريجي عن الخطية، وينمو في النعمة. وبالرغم من ذلك فالخطية تبقى فيه، نَعَم، وبذور كلّ خطية تبقى فيه إلى أن يتقدّس كلّيًا في جسده ونفسه وروحه".[١١] وبالنسبة لوسلي، فإنّ التقديس بهذا المعنى الأولي، هو النظير المطابق للتبرير. ويشرح ذلك قائلًا: "في نفس الوقت نحن مبرّرون ، نعم, في تلك اللّحظة بالذات، يبدأ التقديس. في تلك اللّحظة نحن نولد ثانيةً، نولد من فوق، نولد بالروح، يحصل هناك تغيير حقيقي ونسبي".[١٢] وبذلك فإنّ مصطلح التقديس الأولي هو مرادف عمليًا لمصطلح التجديد أو الولادة الجديدة. أن تصبح حيًّا لله بواسطة الروح القدس، هو أن توضع على مسار الكمال.

٤-التقديس المتدرّج (Progressive Sanctification)

يعلِّم الوسليون مع معظم المفكّرين البروتستانتيين، أنّ التقديس المستمرّ كما ورد تعريفه في كتاب العقيدة الوستمنسترية حيث أنّه: "عَمَل نعمة الله المجانية، والتي بواسطتها يتمّ تجديد كامل الإنسان على صورة الله، فيصبح بمقدوره أكثر وأكثر أن يموت عن الخطية ويحيا للبِرّ".[١٣]

ويكتب أبراهام كويبر (Abraham Kuyper):

"الولادة الجديدة، لا تعمل على تقديس رغبات المرء وتصرّفاته، وهي غير قادرة وحدها على إنبات التصرّفات المقدّسة. فهي بحاجة إلى العمل الإضافي والمميّز جدًّا للروح القدس، الذي بواسطته تصبح

المتواضعة، اللطيفة والمتأنّية نحو الله ونحو القريب. المحبة التي تتحكّم بانفعالاتنا، بكلماتنا وبأفعالنا".(١٨)

وقد كان حذرًا إذ وقف ضدّ النظرة الدّينية أو الفريسية للكمال، وأصرَّ في كل الأوقات أنّه "لا يوجد كمال مثل هذا في هذه الحياة, كما تتضمّن الحرية الكاملة، إمّا بالإهمال أو الوقوع في سهوات غير أساسية للخلاص، أو من خلال الإغراءات المتنوّعة، أو من خلال النقائص التي لا تُحصى، والتي بواسطتها يعمل الجسد الفاسد على إضعاف الروح وجرّها للأسفل".(١٩)

بالنسبة لوسلي، كما هي بالنسبة للكتاب المقدس, فالكمال المسيحي يعني المحبة الكاملة. هذا هو المعنى الذي فهمه أنصار هذا التعليم عبر قرون المسيحية، كما سنرى في هذا الكتاب. وقال وسلي في عظته عن الكمال المسيحي: "الكمال المسيحي ما هو إلا مصطلح آخر للقداسة، إسمان لشيء واحد".(٢٠)

عندما نتبرّر في محبّة مقدَّسة، متواضعة، لطيفة ومتأنّية لله والناس. ويزداد تدريجيًا من تلك اللحظة إلى مرحلة أخرى، عندما يتطهّر القلب من كل الخطية ويمتلئ بمحبة نقية طاهرة لله والناس. وستزداد هذه المحبة أكثر وأكثر حتى "تنمو في كل الأشياء إلى ذاك الذي هو رأسنا" وحتى نبلغ "قياس قامة ملء المسيح".[١٥]

بالإضافة إلى هذه المعاني والمصطلحات التي تمّ شرحها إلى الآن, هناك مصطلح يحتاج إلى شرح هو "الكمال" أو "الكمال المسيحي".

٦- الكمال (Perfection):

كان هذا المصطلح سببًا للنقد الذي تمّ توجيهه لحركة القداسة، لكنّه مصطلح كتابي وقد استُخدِم بشكل متلازم مع تعليم القداسة عبر قرون المسيحية. بقدر ما كان وسلي مهتمًّا، فقد استخدم هذا المصطلح لأنّه "كتابيّ، ووسلي مرتبط بعاطفة شديدة مع لغة الكتاب".[١٦] وقد قام وسلي بتلخيص تعليمه عن القداسة في كتاب صغير بعنوان: *A plain account of Christian perfection* (كونوا كاملين- منشورات ينبوع الحياة). وقد لاحظ ميتز (Metz) بشكل صحيح أنَّ "تعريف وسلي للكمال المسيحي لم يطرأ عليه أي تحسّن، لكنّه ما زال يحمل جوهر ما يعنيه المصطلح في دوائر القداسة. وفضَّل وسلي استخدام مصطلح "الكمال المسيحي" أكثر من المصطلح المطلق والقاطع "الكمال".[١٧] وفي نهاية كتابه "كونوا كاملين"، لخّص وسلي تعليمه بهذه الكلمات: "أقصد بالكمال المحبة

الفصل الثاني

العقيدة الكتابية

المصدر الأصلي والوحيد ذو السلطة لتعليم عقيدة القداسة المسيحيّة هو كلمة الله المكتوبة. فليس من المستغرب أن يسمّى الكتاب المقدّس "بالمقدّس". الكتاب المقدس هو كتاب قداسة. والكلمة التقليدية لهذه المسألة هي ما قاله الأسقف فوستر (Foster):

"القداسة تتنفّس في النبوّة، تدوي كصوت الرعد في الناموس، تهدر كمياهٍ قوية في الرواية الكتابية، تهمس في الوعود الكتابية، تتضرّع في الصّلاة، تتألّق متلألئة في الشّعر، تدوي برنين في الأغنيات، تتحدّث في البشر، تتوقّد متوهّجة في التخيّلات، هي كالأصوات في اللّغات، تتّقد بالروح لكلّ المشهد، من الألف إلى الياء، من البداية إلى النهاية. القداسة! القداسة حاجة! القداسة مطلب! القداسة تقدمة! القداسة أمر قابل البلوغ! القداسة هي واجب حاضر، هي امتياز حاضر ومتعة حاضرة، هي استمرار وتتميم لطريق الحاضر المدهش! القداسة هي الحقّ اللامع والمتألق في كلّ مكان، تنسج كلّ شيء عبر الرؤية والإعلان، هي ذاك الحق المشرق الذي يتألق ويهمس ويغنّي ويصرخ في كلّ تاريخه، وسيرته الذاتية، وشِعره، ونبوّته، ووصاياه الأخلاقية، ووعوده، وصلواته، هي الحقّ المركزي العظيم في كلّ النّظام الكوني. الغريب أنّ الجميع لا يرونه، ولا أحد يقف حتى للسؤال عنه، حقّ واضح جدًّا، مشرق جدًّا، ومريح جدًّا".[1]

يعكس الاسم النبوي لله، "قدّوس إسرائيل".[٥] ويقول أولين (Aulen) :

"القداسة هي الأساس الذي يقوم عليه كلّ مفهوم الألوهية ... بالإضافة لذلك، فهي تعطي اهتمامًا خاصًّا لكلّ عنصر من العناصر المختلفة في فكرة الله، وتجعل من هذه العناصر جزءًا من المفهوم الأشمل عن الله. كلّ جملة عن الله سواءً أكانت عن محبّته أو قوّته أو برِّه ... تتوقّف عن أن تكون تأكيدًا عن الله عندما لا تظهر في خلفيّة قداسته".[٦]

كلمة قداسة في العبرية هو "قودش"، وهي تظهر، مع جميع مشتقاتها، ٨٣٠ مرة في العهد القديم. وقد وجد الدارسون ثلاثة معانٍ أساسية في كلمة "قودش":

١- في كثير من الأحيان تحمل فكرة "المجد الإلهي الساطع". ليس هناك تمييز واضح بين القداسة والمجد.[٧]

٢- الكلمة تعبّر أيضًا عن قطع، فصل، سمو.

٣- أتت كلمة "قودش" على الأغلب من مصدرَيْن، واحدهما يعني "جديد"، "منعش"، و "نقي". فالقداسة تعني النقاء سواءً أكان طقسيًا أم أخلاقيًا. النّقاء والقداسة، عمليًا، فكرتان مترادفتان.

لكونه الله، فقد أنار بمجد مميّز لنفسه. الله كان ظاهرًا جليًا في العلّيقة المشتعلة، كان في عمود النار، وعلى الجبل الملتهب في سيناء. وفيما يتعلّق بخيمة الاجتماع يقول الرب: ".. فيُقدَّس بمجدي" (خر ٢٩: ٤٣). "في القريبين منّي أتقدّس وأمام كلّ

أ. جذور العقيدة في العهد القديم:

مع الارتفاع المتزايد في عدد الدراسات اللاهوتية الكتابية، ظهر عدد من الدراسات الممتازة في لاهوت العهد القديم. ونتيجة لذلك، زاد بشكل كبير فهمنا لتعليم القداسة في العهد القديم. وهذا صحيح بشكل خاص، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار إعلان قداسة الله في الكتب المقدّسة ما قبل المسيحية.

١- قداسة الله

أثبت اللاهوت الكتابي بشكلٍ حاسم، أنّ القداسة ليست مجرد واحدة من صفات الله أو أنّها الصفة الأخلاقية الرئيسية. ويُعْتبر موقف (Jacob Edmond) جايكوب إدموند نموذجًا لأفضل الدّراسات الكتابية، والذي كتب:

"ليست القداسة صفة سماوية بين الصفات الأخرى، حتى الرئيسية منها، فهي تخبرنا عن ماهية الله وتتوافق بانسجام تامّ مع ألوهيّته".[٢] ويقدّم سنيث (Snaith) ملاحظة تدعم هذه الفكرة:

> عندما يقول النّبي في عاموس٤: ٢ "أقسم السّيد الربّ بقدسه"، فهو يعني أنّ يَهْوَه قد أقسم بألوهيّته، بنفسه ك" أله"، والمعنى تمامًا هو نفسه في عاموس ٦: ٨ عندما يقول عاموس"أقسم السيد الرب بنفسه".[٣]

ويلاحظ تلميذ الأدب الربَّاني (عند اليهود) أنّ الاسم الإلهي الأكثر استعمالًا بين أحبار اليهود هو "القدوس".[٤] وهذا

الشرّ (حب١ :١٣). وعندما لمح النّبي إشعياء قداسة الله صرخ: "ويْل لي إنّي هلكتُ؛ لأنّي إنسان نجس الشفتيْن، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتيْن" (إش٦: ٥). ويتعجّب إشعياء قائلاً: "مَنْ منّا يسكن في نار آكلة. مَنْ منا يسكن في وقائد أبدية" (إش٣٣: ١٤). إنّ قداسة الله نار آكلة، إمّا أن تطهرّنا وتُبعِد عنّا كلّ خطيّة، أو أنْ تُدمّرنا! كما حذّر يسوع: "لأنّ كلّ واحد يملّح بنار" (مر٩: ٤٩) – إمّا نار منقّيَة تعمل على تقديسنا (ملا٣: ١-٣) أو نار عقاب إلهي شديد تعمل على تدميرنا (ملا٤: ١).

٢- التقديس

"تكونون قدّيسين لأنّي قدّوس الربُ إلهكم" (لا١٩: ٢). هذه الوصية تشير إلى الجانبين الأخلاقي والطقسي, كما ترينا تشريعات القداسة المدوّنة في (لاويين١٧-٢٦). في الأيام الباكرة لتاريخ إسرائيل، كانت عناصر القداسة الطقسية أو التعبّدية ذات سلطة سامية، ولكنّ الجانب الأخلاقي كان حاضرًا أيضًا. في الكتب النبويّة، كانت اهتمامات القداسة هي السائدة، ولكن الطقوس لم تُفْقد أبدًا بالكامل. وهكذا يقول س. رايدر سميث (C.Ryder Smith):

"بينما وُصِفَت عقيدة القداسة في إسرائيل في البداية على أنّها أسلوب حياة مميّز، امتزجت فيه الطقوس والأخلاق بشكل غير قابل للتمييز، فإنّها في النّهاية أظهرت أسلوب حياة بقيَت فيه الطقوس

الشعب أتمجّد" (لا١٠: ٣). وفي الرؤيا النبيلة لإشعياء نقرأ هذا الوصف: "قدّوس قدّوس قدّوس ربّ الجنود مجده ملء كلّ الأرض"(إش٦: ٣).

ولكونه الله، فهو منفصل عن خليقته. القداسة هي الطبيعة الحقيقية والفعلية لله، وهي تصف الله كإله، وتتطلّب من الإنسان عبادة. الله هو "الكلّي الآخر"، يقف بعيدًا عن أيّة آلهة أخرى خياليّة. "ليس قدّوس مثل الرب، لأنه ليس غيرك..."(١صم٢: ٢). قداسة الله تعني اختلافه وتفرّده ككخالقٍ وربٍّ وفادٍ. يقول برونر (Bruner): "الوحيد، الذي يقول أنا الذي أنا، أنا الرب وليس مخلص غيري، هو الذي يمكنه أن يكون قدّوس إسرائيل".[٨] إنّ سمو الله الفائق وانفصاله لا يعنيان بُعده. كما يلاحظ سنيث: " كان الله ساميًا من البداية في اختلافه عن الإنسان، لكنّه لم يكن أبدًا يسمو في كونه بعيدًا عن الإنسان. "لأني الله لا إنسان القدّوس في وسطك فلا آتي بسخط" (هو١١: ٩)... السّمو الفائق لا يعني البعد. لكنّه يعني الاختلاف.[٩]

ولكونه الله، فهو ذو نقاوة مهيبة. فمن المستحيل على الله القدّوس أن يحتمل الخطيّة. نقرأ في سفر التكوين أنّ الله مهتمّ بتصوّرات الشر التي عمَّت الجنس البشري (تك٦: ١-٦). ونقرأ في إرميا أنّ قداسة الله اضطّربت بسبب الفساد المزمن لقلب الإنسان (إر٣: ١٧، ٢١؛ ١٧: ٩-١٠). إنّ عينيّ الله أطهر من أن تنظرا

الأعداد ٩-١٨). "العهد الجديد، أخيرًا، يقبل الجانب النبويّ للكلمة ويجعله سرمديًا. جميع المؤمنين مدعوون للقداسة (رو ١: ٧)، وهذا يعني أنّهم مقدّسون أخلاقيًا، منفصلون، مكرّسون لخدمة الله (مر ٦: ٢٠؛ يو ١٧: ١٧؛ رؤ ٣: ٧)، وهكذا تكون لهم شركة مع الله القدّوس (أع ٩: ١٣؛ رو ١: ٧؛ عب ٦: ١٠؛ رؤ ٥: ٨)".[١٢]

ويؤكّد ولذر إكرود (Walther Eichrodt) الفكرة نفسها: "يُرى العنصر الحاسم في مفهوم القداسة في الانتماء إلى الله... لكنّ الإنسان الذي ينتمي إلى الله يجب أن يملك طبيعة من نوع خاص، والتي بواسطة تشكيل الداخل والخارج في الوقت نفسه، سوف تتوافق النقاوة الأخلاقية والطقسية مع طبيعة الله القدّوس".[١٣]

تكشف رؤيا إشعياء في الهيكل بشكل جليّ طبيعة القداسة الأخلاقية حين تتعلّق باختبار الإنسان. قداسة الله توصِل نفسها إلى الإنسان العابد، وتصبح نار تقديسٍ تُطهّر الطبيعة الداخلية. كانت نتيجة هذا التطهير في قلب إشعياء تأكيد وتوسيع إرساليته النبوية. "ويتعالى ربّ الجنود بالعدل، ويتقدّس الإله القدّوس بالبرّ" (إش ٥: ١٦).

والأخلاق ممتزجة، ولكن الجانب الأخلاقي كان الأساس والعنصر ذا السلطة السامية".[١٠] ويكتب إدرشيم (Edersheim) بنفس الاتجاه:

"المصطلح العبري "مقدّس" يعني "منفصل، ومُفْرز". ولكن هذا معناه الثانوي فقط، وهو مشتقّ من الغاية التي هو مقدّس. ولكن المعنى الرئيسي هو أن تكون رائعًا، جميلًا، نقيًا وغير ملوّث. الله قدّوس كما أنّه مُطْلَق النقاوة والتألق والإشراق. لذلك يُرمز لله بالنور. الله يسكن في النور ويستحيل الوصول إليه .... وشعب إسرائيل كان مقدّسًا كشعب يسكن في النّور من خلال العهد- العلاقة مع الله.

لم يكن إختيار شعب إسرائيل من بين كلّ الأمم الأخرى هو ما جعلهم مقدّسين، بل إنّها العلاقة مع الله التي جلبت الشعب. إنّ دعوة إسرائيل، اختيارهم وانتخابهم، كانت فقط الوسيلة، والوصول إلى القداسة كان سيتمّ من خلال العهد الذي أعطاهم الغفران والتقديس، وفيه - أي العهد- وعن طريق إطاعة الناموس, وبقيادة ذراع الله المقدّسة, تمّت قيادة شعب إسرائيل للأمام وبشكل مستمرّ. وهكذا، إذا كان الله قد أظهر جلال اسمه في الخليقة، فإنّ طريق قداسته كان بين شعب إسرائيل.[١١]

يميّز بومان (Bowman) بين المعنى الكهنوتي والمعنى النبوي للقداسة. الفكرة الكهنوتية هي أن تكون مفرزًا، منفصلًا، ومكرّسًا. "المقدّس" هو الذي *انفصل لله*. بهذا المعنى فإنّ الهيكل والكهنوت والعشور والسّبت والأمة كلّها كانوا "مقدّسين". أمّا الفكرة النبوية هي أخلاقية كما في إشعياء ٦ و ملاخي ٣. وكلا المعنيَيْن يتّحِدان في تشريعات القداسة المدوّنة في لاويين ١٩، حيث وصل المقطع الأخلاقي المهيب ذروته في "تحبّ قريبك كنفسك. أنا الربّ" (انظر

أيوب هو بحث في موضوع الكمال. يقدّم أيوب في هذا الكتاب كرجل "تقيّ وورع ومستقيم" (حرفيًا كامل ومستقيم)، "يخاف الله ويحيد عن الشر" (أي١ :١). هذه الدعوى، التي وافق عليها الشيطان بتحفّظ، قام أصدقاء أيوب بإنكارها. ومع أنّ مشكلة الشر بقِيَت بلا جواب، إلا أنّه تمّت تبرئة طرف أيوب. في مقدّمة السِفر، اعترف الشيطان ببرِّ أيوب ولكنّه سخر من دوافع أيوب وشكّ فيها، مصرًّا على أنّ وراء استقامة أيوب دافعًا أنانيًا يرغب في الأخذ. وقد تحدّى الله أنّه إذا أزال هذه الظروف من حول أيوب، فإنّ أيوب سيتمرّد. لكنّ أيوب صمد في هذا الامتحان، وثبت ادّعاء الله أنّ برّه صادق وأصيل. كمال أيوب كان مسألة دافع محبّته الخالصة لله. قلب أيوب كان كاملًا أمام الله لأنّ قصده كان نقيًّا. وهذه هي الفكرة الأساسية للكمال في العهد القديم. باستثناء الوصايا العشر، لا يوجد مقطع كتابي أثّر في الشعب اليهودي أكثر من "الشَّماع" أو (إسمع)، والذي سمّيَ قانون إسرائيل: "إسمع يا إسرائيل: الربّ إلهنا ربّ واحد. فتحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك. ولتكنْ هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها على قلبك" (تث٦: ٤-٥). المحبّة هي دافع الرب لاختيار إسرائيل، والمحبّة المقترَنَة بالطاعة هي الاستجابة المُثلى (تث٧: ٦-١١). لجعل هذا الكمال في المحبّة مُمْكِنًا، يجب أن يكون هناك استئصال للفساد الداخلي.

٣- الكمال

أصبحت قداسة الله مطلبًا للبرّ الشخصي والعدالة الاجتماعية في عظات الأنبياء. قد تُفهَم دعوة الله للكمال في هذا المزج بين القداسة والبرّ. ويلاحظ تيرنر ما يلي،

قيل عن الله أنّ "طريقه كامل" (مز١٨: ٣٠)؛ ولكن الرجل الخائف الله يُستَحْسَن، وبالحقيقة يجب أن يسلك في طريق الله الكامل هذا (مز١٨: ٣٢؛ ١٠١: ٢, ٦). الإعلان عن الله يستلزم تمييز قداسته الفريدة. وهذا يُظهِر نقص قداسة الإنسان وطبيعته الخاطئة وحاجته للرحمة. التقديس هو عمل الله المُنْعِم في إزالة الخطية والتزام الناس الطائعين لكمال الله في البرّ. نتيجة هذا التسلسل هو كمال الإنسان في البرّ.[١٤]

المصطلحات العبرية للكمال تدلّ على التمام والبرّ والاستقامة وبلا لوم وسلام كامل. إحدى طرق تفسير هذه الفكرة في العهد القديم كانت في استخدام التعبير المجازي "السير مع الله" بأمانة وشركة. أخنوخ "سار مع الله" (تك٥: ٢٢, ٢٤). وأصبحت مترجمة في عبرانيين ١١: ٥ "أرضى الله". أمّا بالنسبة لنوح الذي قيل عنه أيضًا أنّه "سار مع الله" على العكس من جيرانه (تك٦: ٩). وأُمِر إبراهيم أيضًا: "سِرْ أمامي وكُنْ كاملًا" (تك١٧: ١). وإضافة إلى أنّه كتاب شعري عظيم، يتعلّق بمشكلة الألم غير العادل، فإنّ كتاب

يقول الله في إرميا فيما يتعلّق بذلك اليوم الجديد: "أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهًا ويكونون لي شعبًا ولا يعلمون بعد كلّ واحد صاحبه وكلّ واحد أخاه قائلين: اعرفوا الربّ لأنّهم كلّهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب لأنّي أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيّتهم بعد" (إر ٣١: ٣٣-٣٤). ويصرِّح حزقيال بنفس النبوَّة أيضًا: "وأرشّ عليكم ماءً طاهرًا فتُطهَّرون... وأعطيكم قلبًا جديدًا وأجعل روحًا جديدةً في داخلكم ... وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها" (حز ٣٦: ٢٥-٢٧). ويقول الربّ على فم يوئيل فيما يتعلّق أيضًا بذلك اليوم: "أسكب روحي على كلّ بشر" (يؤ ٢: ٢٧-٢٩). إنّه لأمرٍ مهمّ أن يفسّر أحبار اليهود هذه المقاطع، إضافة إلى وعود أخرى مشابهة على أنّها وصف مستقبلي لعمل روح الله التقديسي، والذي سيميّز العهد المسياني. في الأدب اليهودي المتأخر (الربَّاني), هناك صياغة جديدة لحزقيال قام بها س.سايمون.ب.جوهاي (S. Simeon B. Johai): "وقال الله، "في هذا الوقت، لأنّ دافع الشر موجود في داخلكم، أنتم أخطأتم ضدّي؛ ولكنْ في الوقت القادم سأنتزعه (الشر) منكم". (١٥)

إنّ النصّ الرئيسي في العهد الجديد عن القداسة هو تصريح الرسول بطرس في يوم الخمسين: "بل هذا ما قيل في يوئيل النبي"

لكنْ، يجب أن تكون هناك عملية جراحية قاسية للوصول إلى ذلك: "ويختتن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك لكي تحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك لتحيا" (تث٣٠: ٦). وقد صارت هذه عقيدة العهد الجديد العظيمة بخصوص ختان القلب بواسطة الروح القدس (رو٢: ٢٩؛ كو٢: ١٢). بخِتان القلب وإزالة الخطية الداخلية، صارت المحبّة المكمِّلة مُمْكِنَة لشعب الربّ! هذه هي عقيدة جون وسلي في الكمال المسيحي (أنظر الفصل الأول).

ب. عقيدة العهد الجديد

١- وعد يوم الخمسين

هل كان بإمكان الناس أن يكونوا مُقدّسين قبل وقت المسيح؟ إنّ اختبار إشعياء في الهيكل ما هو إلا جواب رائع يؤكّد ذلك. كان الكمال مُمكِنًا في ظلّ العهد القديم. إلا أنّه كان مُتاحًا للنّخْبة الروحية التي أُعطيَت امتياز رؤية الربّ المقدّسة؛ فقد كان هناك صفّ طويل محجوز تحت الناموس، وظلّ هناك في وادي الفشل المتكرّر (عب١٠: ١-٤؛ رو٧: ٧-٢٥). قبل أن يعرف الجميع عن الحرية من الخطية والكمال في المحبّة، كان يجب أن يَحدُث انسكابٌ روحيّ على شعب الربّ، يُحدِث تغييرًا فيهم. لقد كان ذلك انسكاب روح الله الذي طالما تطلّع إليه الأنبياء بتوقّع واشتياق.

٢- معنى التقديس

لقد بُنيَت عقيدة العهد الجديد على أساس راسخ لتعليم العهد القديم. ويُشير مَسْح دقيق لمراجع العهد الجديد لهذا الموضوع أنّه بالرغم من أنّ التعليم الأخلاقي النبوي سائد، إلا أنّ معنى العبادة الدينية مازال موجودًا. يُقال أنّ الكنيسة هي "أمّة مقدَّسة"، يُشكّل شعبها "كهنوتًا مقدّسًا" (١بط٢: ٩-١٠). ومن منظور آخر، فالكنيسة هي "هيكل مقدّس" (١كو٣: ١٧؛ أف٢: ٢١؛ ١بط٢: ٥). ولهذا السبب فالمؤمنون قدّيسون أو "أناس مُقدّسون". وَرَد هذا اللقب ٦١ مرة. لكنْ بتشديد أكثر من العهد القديم، تتطلّب القداسة الدينية طهارة أخلاقية: "بل نظير القدّوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضًا قدّيسين في كل سيرة" (١بط١: ١٥). يجب أنْ يصير التقديس الضمني واضحًا وجليًا عن طريق تكريس الحياة.

الفكرة المركزية في المسيحية، هي تطهير القلب من الخطيّة وتجديده على صورة الله. يُدْرج ثاير (Thayer) نوعَيْن من التطهير تحت الفعل اليوناني *hagiazo* (ويعني يقدّس):

١- "التطهير بواسطة التكفير، حيث يصير المرء حُرًّا من ذنب الخطيّة"؛ ٢- "التطهير الداخلي بإصلاح الروح". وهذا يتوافق مع الحدثيْن، التبرير (بالولادة الجديدة) والتقديس الكلّي.

(أع٢: ١٦). لقد جاء الوقت المتوقّع أن يحصل فيه انسكاب الروح. العصر الروحي الذي تنبّأ عنه حزقيال النبي كان هنا. نبوّة إرميا صارت تاريخًا كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "لأنه بقربان واحد قد أكْمَل إلى الأبد المُقدَّسين. ويشهد لنا الروح القدس أيضًا. لأنّه بعدما قال سابقًا هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام يقول الربّ أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم ولن أذكر خطاياهم وتعدّياتهم في ما بعد" (عب١٠: ١٤-١٧). إنّ أهميّة هذا الحقّ يُمكن التأكيد عليها بشكلٍ مبالغ فيه. إنّ التقديس ليس موضوعًا هامشيًا، بل يقع في قلب العهد الجديد. بإعلان مجيء المسيح ومردّدًا صدى ملاخي، قال يوحنا المعمدان: "أنا أعمّدكم بماء للتوبة, ولكن ... هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار" (مت٣: ١١-١٢). ويلاحظ ميلر (Miller):

> هذا هو التأكيد الثابت للعهد الجديد- عمل، حضور، نقاء، وقوة الروح القدس. الجميع كانوا في الذروة بواسطته -أي الروح القدس- بالتدبير الإلهي. إنّ حضوره إلى قلب الشخص المؤمن مطهّرًا، والحضور المقوِّي كان الرجاء النهائي لكلّ العصور.(١٦)

وقد رأى جون وسلي ذلك بوضوح، وكتب عن هذه النقطة في كتاب "كونوا كاملين- منشورات ينبوع الحياة":

> "يجب ألّا تُقاس امتيازات المؤمنين بما هو مدوّن في العهد القديم عن الناس الّذين كانوا تحت الشريعة اليهودية، وبما أنّ مِلء الزمان قد جاء الآن، وبما أنّ الروح القدس قد أُعْطيَ الآن، فإنّ خلاص الله العظيم قد جاء للإنسان بإعلان يسوع المسيح".(١٧)

بحسب The American Revised وترجمات American Standard. الكلمة تتضمّن معنى آخر هو "حالة، وهو ليس أصليًا بالنسبة للفاعل، لكنّه نتيجة لعمل أو فعل مستمرّ".[١٩] المعنى الأوسع لكلمة *hagiasmos*, المُراد به التعبير عن التقديس كعملية تامّة، هو المُشار إليه في (١كو١: ٣٠؛ ٢تس٢: ١٣؛ عب١٢: ١٤).

إذا نظرنا إليه أخلاقيًا, فالخلاص هو التقديس – تقديس وتكريس حياتنا بواسطة الروح المقدِّس. من البداية إلى النهاية، تقديسنا الشخصي هو نتيجة عمل الله السخي فينا. هذا التقديس بكلّ ما فيه، هو قطعة واحدة من كلّ العمل الإلهي، "استمرار للنعمة" يتمّ بواسطة الروح القدس. يقول جون وسلي: " ليس الروح القدس مقدَّسًا بنفسه فقط، ولكنّه السبب الفوري لكلّ القداسة التي فينا".

ب- التقديس الأولي. يبدأ التقديس بالولادة الجديدة. مبدأ الحياة الجديدة الممنوح بواسطة الروح القدس، هو مبدأ القداسة. "لأن محبّة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو٥:٥). وفي رسالته لكنيسة كورنثوس قال بولس:

"أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله. لا تضلوا. لا زُناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور... يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم بل

يوجد في التبرير والولادة الجديدة المعنى الأوّل أعلاه (١كو ٦: ١١؛ يع٤: ٨). ويشير وايلي (Wiley) إلى ذلك، إنّه التطهير من الفساد المكتسب.[١٨] "بغسل الميلاد الثاني" (تي٣: ٥) تتمّ إزالة التلوّث الذي اكتسبناه بارتكابنا الخطيّة، ونصبح "أنقياء" (يو١٥: ٣). ولهذا السبب يُقال أنّ التقديس يبدأ بالولادة الجديدة. من الناحية السلبية، يعمل التقديس الكلّي على تطهير القلب من جذر الخطية أو الوجود الداخلي لها، مُحْدِثًا تكريسًا لله باتّجاه فكري موحّد (يو١٧: ١٧, ١٩؛ أف٥: ٢٦؛ ١تس٥: ٢٣؛ يع٤: ٨). التقديس الكلّي ليس حالة بقدر ما هو شرط محفوظ لحظة بلحظة بينما نسير في النور (١يو١: ٧).

أمّا من الناحية الإيجابية فالتقديس هو إحياء واستعادة لصورة الله الأخلاقية "في البر وقداسة الحق" (أف٤: ٢٤). وهذه الناحية الإيجابية للتقديس تتضمّن عملًا مستمرًّا. يبدأ التقديس بالولادة الجديدة، ويتسارع بتطهير القلب والامتلاء بالروح، ويكتمّل بالتمجيد. وهذه العملية مصوَّرة بأسلوب جميل بكلمات بولس: "ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الربّ الرّوح" (٢كو٣: ١٨).

أ. **التقديس كعملية تامّة.** وردت كلمة *hagiasmos* عشر مرات في العهد الجديد والمترجمة "التقديس" في كلّ مرحلة

وربما عب١٣: ١٢. قد يأخذنا تفسير جميع هذه المقاطع إلى مدى أبعد من هدف هذا الكتاب، ولكن بضعة تعليقات قد تأتي بالتسلسل.

في رومية ٦ يحثّ بولس مؤمني رومية، نظرًا لاهتدائهم ومعموديّتهم، أنْ: ١- يعتبروا أنفسهم أمواتًا عن الخطيّة أحياء لله في المسيح يسوع (٦: ١١)؛ ٢- يكفّوا عن تقديم أعضاءهم تحت سيطرة الخطية (٦: ١٢)؛ و٣- يقدّموا ذواتهم لله "كأحياء من الأموات" (٦: ١٣). والعلاقة بين تقديم الذات بالإيمان والتقديس الحقيقي مُشار إليها في عدد ١٩ "لأنّه كما قدّمتم أعضاءكم عبيدًا للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدّموا أعضاءكم عبيدًا للبرّ للقداسة". ويعيد في رومية ١٢: ١-٢ الحثّ نفسه لتكريس الذات من أجل تكميل القداسة.

يتحرّك مقطع أف٥: ٢٥-٢٧ في الاتجاه نفسه "أحبّ المسيح أيضًا الكنيسة وأسلَمَ نفسه لأجلها لكي يقدّسها مُطهّرًا إيّاها بغسل الماء بالكلمة لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو أي شيء من مثل ذلك بل تكون مقدّسة وبلا عيب". المسيح قدّم نفسه لأجل الكنيسة التي اغتسلت سابقًا بالولادة الجديدة. ويخبرنا عدد ٢٧ أنّ التقديس هنا يُكمل أن نكون بلا لوم المذكور في (أف١: ٤).

تقدّستم بل تبرّرتم باسم الربّ يسوع وبروح إلهنا" (١كو ٦: ٩-١١).

وفي عظته "الخطية في المؤمنين"، يعلّق وسلي على هذه الفقرة:

"يقول الرسول اغتسلتم بل تقدّستم، أي تطهّرتم من الزنا، عبادة الأوثان، والسُكر، وكلّ الخطايا الخارجية، وفي الوقت نفسه، ومن جانب آخر للكلمة نفسها، هم ليسوا مقدَّسين، لم يغتسلوا بعد، لم يتطهّروا بعد من الخطايا الداخلية، من الحسد، سوء الظنّ والمحاباة".[٢٠]

ولهذا السبب، نحن نتكلّم عن التقديس الأولي كتقديس جزئي وليس كلّي. ويقول وايلي أنّ هذا المصطلح: "ليس نكرة، ويشير إلى تطهير الخاطئ من تدنيسه. هو مصطلح معرفة، ومحدّد جِدًّا للذنب والفساد المكتَسب الناتج عن الخطايا الفعلية، وهي التي يكون الخاطئ مسؤولًا عن ارتكابها".[٢١]

التقديس الكلّي أو الجزئي متضمَّن في نصيحة بولس في ٢ كو٧: ١ عندما يحثّ قارئيه: "فإذ لنا هذه المواعيد أيّها الأحباء لنطهّر ذواتنا من كلّ دنس الجسد والروح مُكَمِّلين القداسة في خوف الله". يناقش هذا العدد التقديس الأولي والكلّي معًا. وعلى الكورنثوسيين أنْ يصِلوا إلى تتميم القداسة التي كانت جزئية فقط.

ج- **التقديس الكلّي.** بالرّغم من أنّ عقيدة التقديس الكلّي مُتضَمَّنة في الكثير من مقاطع العهد الجديد، فيبدو أنّها مطلوبة من الآخرين، ومنها يو١٧: ١٧، ١٩؛ رو٦: ١٢-١٣؛ رو١٢: ١-٢؛ ٢كور ٧:١؛ أف١:٤؛ أف٥: ٢٦؛ ١تسا٥: ٢٣؛ تي٢: ١٤

(Lightfoot) أنّ المعنى المُعطى هنا كالتالي "ليت الله يقدّسكم فتصيرون كاملين".(٢٢)

والجزء الثاني من هذا التوسّل يُظهر أنّ بولس ينطق بصلاة لكي تُحفظ جميع أجزاء الإنسان مقدّسة وبلا لوم إلى حين مجيء الرب. يضع موريس ملاحظة: "إنّ أمانة الله هي أساس لتأكيد أنّ كلّ صلاة تُرفع إليه تُستجاب".(٢٣)

٣- الكمال المسيحي

الكمال المسيحي والتقديس الكامل هما مصطلحان يصِفان الاختبار نفسه لنعمة الله. الكمال بالمحبّة أمام الله هو القداسة المسيحية نفسها.

ورد الفعل *teleioo*، المترجم "كامل"، ٢٥ مرة في العهد الجديد. ويعني أنْ: ١- تدرك نهاية، تبلغ معيارًا أو مقياسًا معيّنًا؛ تنجز هدفًا مُعطى؛ ٢- تُنهي أو تُكمّل. استخدم بولس الصفة *teleios* سبع مرات. وفي العديد من الشواهد المعنى واضح وهو "ناضج" بالمعنى الأخلاقي (١كو١٤: ٢٠؛ أف٤: ١٣-١٤). في ١كو٢: ٦، ١٥، كلمة "الكامل" مُساوية لكلمة "روحي" (أيضًا في ١كو٣: ١). إنّ دراسة الفقرة الأخيرة تشير إلى أن "الكامل" هو المقدّس تمامًا. ويستنتج ج. وايز (J.Weiss) أنّه في العادة تأتي فكرة الكمال مع بولس في المستقبل (في٣: ١٢)، ولكنّها تأتي في بعض الأحيان في الزمن الحاضر (في٣: ١٥؛ ١كو٢: ٦)(٢٤). ويؤكّد أنّ استخدام

وفي تسالونيكي الأولى، يفرح بولس أنّ الذين اهتدوا على يده قبلوا بشارة الإنجيل "بالقوة ...وبالروح القدس وَبِيَقينٍ شديد" (١تسا١:٥)؛ ولكن صلاته لأجلهم في (٣: ١٠) هي أن يكمِّل إيمانهم "لكي يُثبِّت قلوبَكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربّنا يسوع المسيح مع جميع قدّيسيه" (٣: ١٣). ويستمرّ مُذكّرًا إيّاهم أنّ القداسة هي إرادة الله ودعوته إلى الّذين سبق فأعطاهم الروح القدس (٤: ٣-٨). أما ذُروة دعواه فكانت (٥: ١٤-٢٤). ثقل الرسالة كلّه تلخّصه وتعبّر عنه في الأعداد ٢٣-٢٤: "وإله السلام نفسه يقدّسكم **بالتّمام** ولتُحْفَظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملةً وبلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمينٌ الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضًا". كلمة "بالتّمام" هي أقوى كلمة استطاع بولس استخدامها. هي كلمة مُركّبة تعني "كلّي" و "كامل". ويكتب موريس (Morris) معلّقًا على هذه الصلاة:

> "الصلاة هي أن يقدّسكم الله بالتّمام. هناك جانب من التقديس منوط بالإنسان، وهو في تقديم إرادتنا للعمل على تتميم إرادة الله. ولكن القوة التي تظهر في الحياة المقدّسة ليست من الإنسان، لكنّها من الله، وقد تمّت صياغة صلاة بولس في نور هذا الأمر. في المعنى الأعمق، فإنّ تقديسنا هو عمل الله في داخلنا. من الممكن أن ننسب هذا العمل للابن (أف٥: ٢٦)، أو للروح القدس (رو١٥: ١٦)، وفي كلتا الحالتين، فإنّ هذا العمل من السماء. إن كلمة "بالتمام" المستخدمة كلمة غير عادية (*holoteleis*)، وهي موجودة فقط في هذا الموضع في العهد الجديد. وهي تركيب لكلمتي كلّي وكامل، ويقترح لايتفوت

بعضًا. لأنّ من أحبّ غيره فقد أكمل الناموس... المحبّة لا تصنع شرًا للقريب فالمحبّة هي تكميل الناموس" (رو١٣: ٨، ٩-١٠). الكمال المسيحي هو كمال في المحبّة.

ب. مشابهة المسيح المكمّلة. الهدف النهائي للكمال هو مُشابَهة صورة المسيح، والتي ستكون عطيّة الله لنا في مجيء المسيح (١يو٣: ٢). وبسبب هذا الهدف المستقبلي، على كلّ مسيحي أن يعترف كبولس: "ليس أنّي قد نلتُ أو صرتُ كاملًا" (في٣: ١٢). ويشرح وسلي: "هناك فرق بين شخص كامل وشخص مكمَّل. الواحد لائق للسباق، والآخر؛ جاهز لاستلام الجائزة".[٢٥]

بـولس للكلمـة *teleios* فـي كـو ١: ٢٨؛ و٤: ١٢ يُظهِـر بوضـوح الكمال الأخلاقي والروحي.

وهـذا الـدليل يشـير إلـى معنـى مـزدوجٍ للكمـال. يمكـن أنْ يكـون المؤمن كاملًا أو غير كاملٍ، وهذا يعتمد على الطريقة التي تُستخدم فيها الكلمات. الكمال النسبي محتمل الآن من خلال الإيمان والروح القدس، ولكنْ الكمال النهائي يأتي بترقّب القيامة (في٣: ١١-١٢، ٢٠-٢١).

أ. الكمال بالمحبّة. إنّ أحد أهمّ المقاطع الكتابية التي تتحدّث عن الكمال (مت٥: ٤٣-٤٨)، وتصل ذروته بوصيّة السّيد "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل". والفاء (فاء السببية) في "فكونوا" هي مفتاح النّص. يقول الرب يسوع، في الواقع، "كما أنّ أباكم كامل بالمحبّة، ويرسل بركاته على الصديق والعدو بالطريقة نفسها، لذا يجب أن تكونوا كاملين في محبّتكم لجميع النـاس". وواضـح أنّ هذه هـي محبّـة ال *Agape*- التلقـائية، إرادة صالحة غير قابلة للانهزام، تتبع من الحياة الداخلية للشخص الذي يعيش بالروح. إنّ المحبّة الكاملة هي عطية من الله (رو٥:٥؛ ٨: ٣-٤؛ ١يو٤: ١٣-١٧)، وهي أيضًا وصيّة من الله (مر١٢: ٢٩-٣١؛ ١يو٤: ٢١).

إنّ تتميم الناموس هو في التعبير عن هذه المحبّة (مت٢٢: ٤٠؛ ١تي١:٥). "لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأنْ يحبّ بعضكم

الفصل الثالث

الكنيسة الأولى

ربّما يكون ادّعاءًا كثيرًا القولُ أنَّ الكمال المسيحي كما هو موصوف في الكتاب المقدّس وكما يفهمها اللاهوت الوسلي، قد تمّ تعليمها والإيمان بها من قِبَل الكنيسة عبر القرون. في الواقع، كثيرًا ما أُدينَ هذا التعليم وطُعِن به. ومع ذلك فعقيدة الكمال كانت حاضرة بشكل ما، في كلّ عصر، ولم يتمسّك بها مستقيمو الرأي (الأرثوذكس) فقط، بل أيضًا أصحاب الميول الهرطوقية.

دخلت الأفكار الكتابية الإضافية إلى التقليد المسيحي عن طريق أنظمة دينية وفلسفية متعدّدة من خلال العمل في العالم الواسع الذي كانت الكنيسة تعمل وتشهد فيه، وقد ساهم كلّ نظام في صياغة عقيدة القداسة من جديد. كما لعبت الأفكار غير الكتابية عن الله والإنسان والخطيّة دورها في إعادة تشكيل هذا التعليم. ويلاحظ وليام بيرتون بوب (William Burton Pope) أنّ دراسة جميع هذه المبادئ المتنوّعة، والتي ساهمت في قولبة ذلك الرأي يمكن أن تكون ذات فائدة كبيرة تمامًا مثل تسليط الضوء على العقيدة الكتابية. وكما يقول بوب: "في الحقيقة، يمكن اعتبار آراءهم

أمر جيّد أن تتعلّم أوامر الله، كما هي مدوَّنة وأن تسلك فيها. لأنّ مَنْ يعمل هذه الأمور سيُمجَّد في ملكوت الله؛ بينما مَنْ يختار العكس سيهلك هو وأعماله معًا. لهذا السبب هناك قيامة أموات، ومجازاة أيضًا".(٤) وبحسب كليمنت الثاني: "إذا عملنا إرادة المسيح فسوف نجد راحة، ولكن إن لم نكترث لأوامره فلا شيء سينقذنا من العقاب الأبدي".(٥) ويمكن أن تتكرّر مثل هذه الاقتباسات دون توَقّف في كتابات الآباء.

وعلى الرغم من وجود فشل واسع النطاق في فهم البشارة المسيحية، إلّا أنّها رسالة للحرية في المسيح، وأنّ الروح كان مستمرًا في العمل في المجتمع المسيحي. وبالرغم من الآراء الخاطئة، فإنّ شهود سرّ القداسة لم يكونوا غائبين. إنّ الخلاص حتّى في مراتبه العُليا، لا يعتمد على كمال الفهم، ولكنّه يعتمد على الطاعة للروح القدس. ولهذا السبب، ليس من الصعب اكتشاف كلمات شهادة واضحة عن موضوع الكمال المسيحي منتشرة في كتابات الآباء.

وقبل أن يستشهد بوقت قصير، أعلن أغناطيوس: "أشكرك يا رب لأنك تلطّفتَ بسرعة ومنحتني شرف التوجّه إليك بمحبّة كاملة".(٦) وكتب كلمنت الروماني: "أولئك الذين تكمَّلوا في المحبّة، بلغوا بنعمة الله إلى مكانة مرتفعة بالشركة، كأولئك الذين في كلّ العصور خدموا مجد الله بكمال".(٧) وكتب بوليكارب في حديثه عن الإيمان والرجاء والمحبّة: "إنّ أي إنسان يكون في هذه، قد أتمّ برّ الناموس، ولهذا

الشخصية من بين الاختبارات الأكثر دقّة الّتي يمكن أن تُطبَّق على الأنظمة الأخرى".[١]

وبالرغم من كلّ هذه التّقلّبات في التعليم، فقد تمّ الحفاظ على الأساسيات لعقيدة الكمال المسيحي، مع وجود اختلافات بسيطة طرأت منذ البداية. ويعلن بوب بشكل صحيح: "إنّ روح القداسة الكاملة لم يترك أبدا نفسه بلا شاهد".[٢] اتّصفت القرون الماضية باختلافات في التشديد وكذلك في المصطلحات، كما يعرف كل طالب يدرس تاريخ الكنيسة، ولكن لم تعاني أبدًا حقيقة القداسة كسوفًا في أي عصر.

أ. الآباء الرسوليون

لم يَسِر لاهوت الآباء الرسوليين في المستوى الراقي نفسه للعهد الجديد. وكما يشير ماك جيفرت (McGiffert): "مع أنّ بولس الرسول كان المفكّر الأعظم في الكنيسة الأولى، إلا أنّ فكره لم يكُنْ مفهومًا بشكل عام كما أنّ تفسيراته عن المسيحية لم تكن مقبولة بشكل واسع".[٣] أتى نمط عام للمسيحية مختلفًا عن بولس الرسول ليسود، وفُهِمَت بشارة المسيح على أنّها ناموس جديد. وبدا أنّ الخوف يأخذ مكان المحبّة كموقف مناسب تجاه الله، وصار الإيمان ببساطة عملًا آخرًا يقوم به المسيحي. أنْ ترِث الحياة الأبدية هو أنْ تطيع الناموس. ويشرح برنابا* في رسالته وجهة النظر هذه: "إنّه

الموت، وعندها سيبدو أنّ الله قد هُزم، وبأنّ فِكر الشيطان سوف ينتصر على إرادة الله. ولكنْ بما أنّ الله لا يُقهَر وهو كريم النفس، فقد أظهر لنا قدرته وعمله النبيل في تصحيح الإنسان، وتبرئة كلّ البشر، كما قلنا سابقًا؛ ولكنْ من خلال الإنسان الثاني يسوع المسيح وجد الله الشخص القوي الذي أفسد خططه (أي خطط الشيطان) وأبطل عمل الموت وأعطى حياةً للإنسان الذي أصبح عرضة للموت.(١٢)

ومرة أخرى يلحّ إيرينايوس بقوّة، "قام ربّنا... قيَّد القوي، أي الشيطان، وأطلق الإنسان الضعيف حرًا، وأعطى الخلاص لعمل يديه بمحو خطاياهم".(١٣)

إنّ فكرة إيرينايوس واضحة، كما يضعها أولين: "إنّ عمل المسيح أوّلًا وقبل كلّ شيء هو انتصار على القِوى التي تقيّد الجنس البشري تحت العبودية: الخطيّة، الموت والشيطان. ويمكن أن يُقال بمقياس ما أنّها قِوى مُجسَّدة، ولكن في جميع الأحوال هي قِوى ذات هدف، وانتصار المسيح خلق وضعًا جديدًا جالبًا حُكْمَهم إلى نهاية، ومُطْلِقًا الإنسان حُرًّا من سيادتها".(١٤)

بالنسبة لإيرينايوس ، كان تجسّد المسيح ضروريًا بشكل مطلق للفداء. "إنّ ربّنا،... هو كلمة الله الآب ولد ابن الإنسان.... ولو لم ينتصر كإنسان على خصم الإنسان، فإنّ العدوّ لن يُغلَب ولن تكون المعركة عادلة. مرة أخرى، ولو لم يكن الله هو الذي منح الخلاص لَما كان من الممكن أن نحصل عليه بشكل آمن .... كلمة الله الذي

يكون حبّه بعيدًا عن الخطيّة".[٨] ومثل هذه الكلمات، تحتوي على بذرة عقيدة الكمال المسيحي: إنّها كمال المحبّة في برّ الإيمان. إنّ رسائل القديس أغناطيوس تتحدّث مرارًا وتكرارًا عن إيمان كامل، عن قصد كامل، وعن عمل كامل للقداسة.[٩]

ب. إيرينايوس

إيرينايوس أسقف ليون في بلاد الغال (فرنسا)، قد عاش في وقت لاحق من القرن الثاني، وقد كان واحدًا من المفكّرين المبدعين القلائل في تاريخ الكنيسة. ويذكر ماك جيفيرت عنه أنّه كان: "أكثر آباء الكنيسة الأولى تأثيرًا، ليس فقط مؤسّساتيًا ولكن لاهوتيًا أيضًا".[١٠] كان رجلًا يتحلّى بتقوى شخصيّة نادرة، وقد أظهر محبّة حقيقية للاهوت بولس الرسول. عقيدته في الفداء تتمركز في عمل المسيح، وتعليمه عن الخلاص يُلقي الضّوء على انسكاب الروح القدس كونه الوسيلة للكمال المسيحي. يُمْكننا أن نصنّف بشكل صحيح إيرينايوس كلاهوتي قداسة. كان إيرينايوس أوّل كاتب من الآباء الرسوليين الذي يزوّدنا بعقيدة واضحة وشاملة عن كفّارة المسيح وعمل الفداء. "لأي غاية نزل المسيح من السماء؟" يسأل إيرينايوس. الجواب: "ليدمّر الخطيّة، ويهزِم الموت، ويعطي حياةً للإنسان".[١١] لنأخذ قولًا آخَرًا:

> خلق الله الإنسان لكي يكون له حياة. إذا بقِيَ الإنسان فاقدًا للحياة، وتمّ إيذاؤه من الحيّة، فلن يعود إلى الحياة، بل سيتمّ تسليمه إلى

المسيح في كلّ مرحلة من مراحل الحياة. وُلِد كرضيع من أجل الرضّع ليقدّس مرحلة الرضاعة (أو الطفولة المبكرة)؛ كطفل بين الأطفال ليقدّس الطفولة، وليضع لنا مِثالًا في المحبّة البنويّة، في البرّ، وفي الطاعة؛ كشاب بين الشباب، ليكون مثالًا لهم وليقدّسهم للربّ؛ وكان أيضًا رجلًا ناضجًا تامّ النمو بين كبار السّنّ، ليكون معلّمًا كاملًا للجميع، ليس من ناحية إعلان الحقّ فحسب ولكن من ناحية هذه المرحلة العمرية أيضًا، مُقدّسًا كبار السّن، وصائرًا مِثالًا لهم أيضًا. وهكذا جاء إلى الموت، ليكون باكورة الراقدين، له البداءة بين الجميع، خالق ومبدع الحياة، الذي سار أمام الجميع وأراهم الطريق.(١٧)

الانتصار السّماوي الذي تمّ إنجازه في المسيح يقع في المركز الحقيقي لفكر إيرينايوس، ويشكّل العنصر المركزي لعقيدته في الاسترداد، وتعني استعادة وتكميل الخليقة، وهي تعتبر أكثر أفكاره اللاهوتية شمولًا. ويقول أولين عن هذه العقيدة:

> لا تنتهي عقيدة الاسترداد عند انتصار المسيح على الأعداء الذين احتجزوا الإنسان تحت العبودية؛ فهي تستمرّ في عمل الروح القدس في الكنيسة .... ولكنّ اكتمال الاسترداد لا يُدرَك في هذه الحياة: نظرة إيرانيوس أُخْرَوية للغاية، وعطيّة الروح القدس بالنسبة له هي عربون المجد القادم.(١٨)

بالنسبة لإيرينايوس، بينما يحتلّ موت المسيح موقعًا مركزيًا في الانتصار السّماوي، فهو لم يكن موتًا في عزلة؛ كما يُشير أولين، "بل كان موتًا في اتّصال، من جهة، بحياة وعمل المسيح ككلّ؛ ومن جهة أخرى بالقيامة والصعود؛ لقد أشرق الموت بواسطة نور

صار جسدًا مرّ في كل مرحلة من مراحل الحياة، مستعيدًا لكلّ مرحلة الشركة مع الله". آخذًا أساس كلامه من بولس في رسالته إلى رومية ٨: ٣-٤، يكمل إيرينايوس: "الناموس، روحيًا، أظهر الخطيّة كما هي؛ لم يدمِّر الخطيّة، ذلك أنّ الخطيّة لم تملك على الروح، بل على الإنسان. لذلك فالّذي كان عليه أن يدمّر الخطيّة ويفدي الإنسان من الذنب، كان يجب أن يجتاز في الظرف الحقيقي للإنسان".(١٥)

لا يوجد بالنسبة لإيرينايوس خط فاصل بين التجسّد وكفّارة المسيح، الخط الذي يظهر عند أنسيلم ونظريات الكفارة اللاحقة. إنّه الله نفسه الذي، في المسيح، يُنْجِز الفداء ويهزم الخطيّة، الموت والشيطان. الله نفسه دخل عالم الخطية والموت: "يد الله نفسها التي شكّلتنا في البدء، وفي أرحام أمهاتنا، بحثتْ عنّا في هذه الأيام الأخيرة عندما كُنّا ضائعين، واستردَّت خروف الله الضال، وألقته على كتفيه وأعادته بفرح إلى قطيع الحياة".(١٦)

وفي فقرة مُطوّلة إلى حدّ ما، لكنّها مثيرة للمشاعر، يشرح إيرينايوس كيف أنّ الابن المتجسّد قد قدَّس كلّ مرحلة من مراحل الحياة:

> أتى ليخلّص الجميع من خلال شخصه؛ الجميع، الّذين وُلِدوا به ثانية لله؛ الرضّع والأطفال والأولاد والشباب وكبار السن. لهذا السبب اجتاز

صَنَعَ ابن الإنسان، وبه صار مألوفًا أنْ يسكن بين الجنس البشري (حلّ بيننا) وأنْ يسكن في خليقة الله، عاملًا مشيئة الله فيهم ومجدّدًا إيّاهم من حالتهم القديمة إلى الحياة الجديدة في المسيح".(٢٢)

لهذا السبب فإنّ إيرينايوس قادر أنْ يقول، "الله عظيم جدًّا لكي يصنع ذلك الكمال الذي تتوق الروح إليه". "ويدعوهم الرسول مُقدَّسين، أولئك الذين قدَّموا أجسادهم وأنفسهم وأرواحهم بلا لوم قدّام الله؛ وليس فقط أنّ الروح القدس يَثْبُت فيهم، ولكنّه يحفظ أنفسهم وأجسادهم بلا عثرة، ليحافظ على إخلاصهم لله ومتمّمين واجباتهم نحو القريب".(٢٣) وقد لخّص عقيدته ببساطة بقوله: "ظهر ابن الله على الأرض وكان مُلِمًّا بالإنسان: لنصير على صورة الله وشبهه".(٢٤)

يـوم القـيامة ويـوم الخـمسين".[١٩] لقـد كانـت القـيامة أول إظهـار لانـتصار المسيح الحاسم، والذي تـمّ ربحـه فـي الصلـيب؛ وقـد كـان أيضًـا نقـطة البدايـة لعـصر الروح القـدس الجـديد؛ حـيث أنّـه عـندما تمجّد في يمين عرش الآب، سكب المسيح الروح القدس، وهـو بـدوره يُعـيد بداخلـنا انـتصار المسـيح علـى الخطيّـة، ويجعلـنا فـي "وِحـدة وشركة مع الله والناس".

إنّها ضدّ هذه الخلفية من عقيدة كفارة المسيح التـي فهمناها من خلال تعليم إيريناويوس عن الكمال. المسيحيون يعيشون في مرحلة الخلاص الجديدة. ويلاحظ فلو (Flew) أنّ: "الحقيقة الأساسية في هذه المرحلة الجديدة هي انسكاب الروح القدس. ويقول، أولئك فقط هم الكاملين، بمعنى التمام، الذين قبلوا روح الله. كانت تُسيْطر على فِكر إيريناويوس دائمًا قناعاته الراسخة بوجود شركة للنفس مع الله. هو يعلم جيّدًا أنّ هذا هو المقصود ب "قبول الروح القدس".[٢٠]

فكرة إيريناويوس عن الاسترداد، المبنية على (أف١: ١٠ وكو١: ١٩)، هـي صُـلبُ عقـيدة الكمـال... وهـي تـقع فـي قـلب لاهـوت إيريناويوس. وهذا هو هدف وجودنا– أنْ نكون في المسيح، وأنْ نقـبل الـروح القـدس، وأنْ نعـيش فـي شـركة مـع الله".[٢١] وبكلمـات اللاهوتي الخاصة:

> "وَعَدَ الله من خلال أنبيائه أنْ يسكب ذلك الروح على عبيده وإمائه في الأيام الأخيرة ليتنبّأوا. والروح الذي نزل من الله على ابن الله،

الفصل الرابع

المسيحية الأفلاطونية

عندما نقرأ إيرينايوس، فإنّنا نسمع صوت الرسول بولس. لقد أظهرت كتاباته تأثير الفلسفة الإغريقية، لكنّها تحمل الروح الرسولية الحقيقية نفسها. بعيدًا عن كلّ التّساؤلات أو الشكوك، فإيرينايوس كان مفكّرًا كتابيًا، وعقيدته في الكمال المسيحي نابعة من فهمه العميق لعمل الله الكفّاري في يسوع المسيح.

في كتابات الرجلين اللذين سوف ندرسها الآن- كليمنت الاسكندري (Clement of Alexanria) وخليفته أوريجين (Origen)- نميّز نبرةً وتشديدًا مختلفيْن كليًّا. نسمع فيهما، وخاصة في أوريجين، صوت أفلاطون بنفس درجة صوت بولس. بالرغم من أنّ كِلا الرجلين تعمّقا في معرفة الكتب المقدّسة، وآمَنا بالمسيح وأحَبّاه بدرجة عالية، إلا أنّ كتاباتهما تبثّ روح الفلسفة اليونانية. الكمال الذي علّماه، على الرغم من أنّه أخذ معلوماته من فكر المسيح وبولس، فهو تحوّل للصلاح والفضيلة المثالية الموجودة في حوارات أفلاطون. بالنسبة لهم، الإنسان الكامل هو "المسيحي الغنوسي" (أي العارف والمستنير)، الإنسان الذي مكّنَتْه معرفته بالله أنْ يُخضِع رغباته البشرية، وأنْ يعيش حياة مسيحية فاضلة. ولهذا

(Mondesert)، "صار الإنجيل بالنسبة له لغةً وفكرًا؛ والغريب أيضًا، أنّه من الممكن القول الشيء نفسه عن الفلسفة الإغريقية، وفوقها جميعًا الأفلاطونية".(١)

كتب كليمنت ثلاثة أبحاث في الكمال المسيحي، *Paedagogus*، *Protrepticus* و *Stromateis*.

Paedagogus تعني "المعلم" وعنوانها "المسيح المعلم" في *آباء الكنيسة*(٢) *Protrepticus* معروفة باسم "عِظة لليونانيين". أمّا *Stromateis* فلا تُعْتَبَر بحثًا كاملًا، بمعنى البحث، فهي مجموعة عشوائية من الأفكار. يتحدّث كليمنت في *Paedagogus* عن كمال الاختبار الدّيني الذي يتمتّع به كلّ مؤمن بالمسيح. ويقدّم في *Protrepticus* دعوى متألقة لليونانيين ليدركوا كلّ الحق والجمال الذي تغنّى به شعراؤهم وفلاسفتهم في "الأغنية الجديدة"، والتي هي يسوع المسيح. وأخيرًا، يلتزم في *Stromateis* أنْ يُطوّر مفهوم الكمال الأعلى، الذي يجده "المسيحي المستنير" في شخص المسيح.

١- *الحياة الكاملة*

بالنسبة لكليمنت، أنْ تؤمن بالمسيح يعني أنْ تختبر كمالًا أُوَليًا. "عندما نولد ثانية، فإنّنا نقبل مباشرةً الكمال الذي نُجاهد من أجله. ولأنّنا استَنَرْنا روحيًا، فهذا يعني، أنّنا أتيْنا إلى معرفة الله. بالتأكيد، الشخص الذي عنده المعرفة للكائن الكامل لن يكون إلا كاملًا".(٣)

السبب دُعيَ كليمنت وأوريجانوس "المسيحيون الأفلاطونيون". كان هؤلاء الرجال يوجّهون رسالة المسيح لأهل الإسكندرية المثقّفين، وقد كانت الإسكندرية المدينة الثانية في الإمبراطورية الرومانية. وقد كانت مدينة تجارية، حيث أسّسها الإسكندر العظيم عام ٣٣٢ق.م، وبهذا فقد جذبت إليها أعدادًا كبيرة من اليونانيين واليهود. وقد كانت الحياة الفكرية فيها ملفتة للنظر. ومكتباتها كانت الأكثر شهرة في كلّ الإمبراطورية. اجتمع في شوارعها الشرق والغرب. وكانت الفلسفة الإغريقية معروفة ومتّحدة مع اليهودية من خلال فكر فيلو (Philo)، وهو أحد المعاصرين للمسيح، وهناك تمّت ترجمة العهد القديم إلى اليونانية. لا نعرف متى قُدّمت المسيحية في الإسكندرية، ولكن لا بدّ أنّها كانت في وقت باكر، بما أنّ جذورها كانت قويّة هناك بحلول القرن الثاني. إنّه امتزاج عميق بين الفلسفة الإغريقية والإيمان الكتابي، وهذه ميزة الفكر الإسكندري لأكثر من قرنين، والذي تمّ التعبير عنه بالتعليم عن الكمال في تعليم كليمنت وأوريجين.

أ. كليمنت الاسكندري

وُلِد تيطس فلافيوس كليمنس حوالي عام ١٥٠م، في أثينا على الأرجح. لم ينافس معرفته العميقة للأدب والعادات الإغريقية إلّا معرفته الحميمة المتساوية للإنجيل. يقول موندیسیرت

الذين يرَوْن بوضوح مثل كليمنت، أنّ عطيّة الشركة مع الله تُحضِر معها ليس فقط تعزيزًا للفضائل السماوية، وإنّما أيضًا تحوُّلًا في الواجب العام. ويصوّرها كليمنت على أنّها حياة مثالية يُمكن أنْ يحياها الشخص في الإسكندرية، وسط سكان مشغولين، يعملون في التجارة، يحبّون المتعة، وهم سريعو الانفعال.[٧] يَعْرف كليمنت أنّ هناك طريقة مسيحية للحياة، ذات سلوك معطاء ومشابه للمسيح، والّذي يأتي كنتيجة طبيعية لهذه العلاقة الجديدة مع الله. وقد تمّ وصف هذه الطريقة المسيحية للحياة بالتفصيل في *Paedagogus*. ولكن نادرًا ما وُصِفَ تحوُّل النعمة بذاك القدر من الجمال كما في المقطع المشهور في *Protrepticus*:

> إنّها طبيعته، كإنسان، أنْ يكون في شركة قريبة مع الله. كما أنّنا لا نُجْبِر الحصان أنْ يحرُث الأرض، أو الثور أنْ يصطاد، بل نقود كلّ حيوان إلى العمل الطبيعي له؛ وللسبب نفسه نحن ندعو الإنسان، الذي خُلق من أجل التأمّل الرّوحي بالسماء، وهو بالحقيقة غرس سماوي، ليأتي إلى معرفة الله... هل وجدت الله؟ لقد وجدْتّ الحياة.[٨]

٢- *المسيحي العارف والمستنير*

بالنسبة لكليمنت، الخلاص هو عمل الله الكامل الذي يبدأ بالإقناع السماوي للنعمة السابقة أو الأولية، ويصبح حقيقيًا بالولادة الجديدة للروح، والتي بعد ذلك، تفتح الطريق للمعرفة العليا للمحبّة المكمّلة، والتي أعطاها مصطلح "*gnosis*" (سُمّيَت في ما بعد Gnosis أو المعرفة).

هذا هو الكمال لكلّ الاختبار المسيحي الحقيقي، معرفة الله، الذي هو الحياة الأبدية (١يو ١: ٥).

الولادة الجديدة هي أيضًا اختبار أخلاقي. "من خلال الروح الإلهي، نحن نتخلّص من الخطايا التي تضع غشاوة على عيوننا، ونعطي الحرية لعين الروح المستنيرة والتي لا يعوقها شيء. بهذه العين وحدها نُعاين الله، عندما ينسكب الروح القدس فينا من السماء".[٤] ويصرُّ كليمنت أنّ كلّ الأشخاص الذين وُلدوا من الله يجب "أن يكونوا بلا خطيّة على قدر استطاعتهم ... لا شيء أهمّ لدينا من أنْ نكون مخلَّصين أولًا من الخطيّة والضعف، وبعد ذلك أنْ نستأصل كلّ رغبة خاطئة ساكنة فينا".[٥]

إنّ كليمنت واضح في فهمه أنّ المسيح يجب أنْ يشفينا أولًا من مرض الخطية قبل أن يعلّمنا طريق الكمال الأعلى.

> إذا كان شخص ما مريضًا، فهو لن يستطيع فهم أي شيء يتعلّمه إلى أن يُشفى تمامًا أولًا. نحن نعطي الإرشادات للشخص المريض لسبب يختلف تمامًا عن إعطائها لشخص يتعلّم، نحن نرشد المتعلّم على أمل أنْ يكتسب المعرفة، أمّا المريض فنحن نرشده على أمل أنْ يستعيد عافيته. مثلما تحتاج أجسامنا طبيبًا عندما نمرض، هكذا أيضًا عندما نكون ضعفاء تحتاج أنفسنا للمربّي الذي يشفيها من أمراضها. بعد ذلك، هي تحتاج للمعلم ليقودها ويطوّر قدرتها للمعرفة، عندما تصير نقيّة وقادرة على المحافظة على إعلان الكلمة المقدسة.[٦]

هذا هو تقديس الحياة العادية. ويقول فلو، "هناك عدد قليل من الكتّاب المسيحيين في ذلك العصر، أو في الواقع في أي عصر،

"الإيمان" أو الثقة البسيطة بالمسيح، كافٍ للخلاص؛ ولكنّ الشخص الذي يضيف على إيمانه "معرفة"، فذاك حصل على أفضل ما يمتلكه الشخص. إنّه المسيحي الغنوسي الحقيقي.

"الذي عنده فسيُعْطى له"؛ للإيمان، معرفة؛ للمعرفة، محبّة؛ وللمحبّة، ميراثًا....هذه المعرفة تقود إلى النهاية، نهاية لا تنتهي، حياة مشابهة لله وانسجام معه... وهكذا كوْنهم أحرارًا، أولئك الذين تكمَّلوا أُعْطوا مكافأتهم. وبما أنّهم أتمّوا عملية تنقيتهم، فقد أتمّوا باقي خدمتهم، لتكون خدمة مقدّسة، مع القدّوس؛ والآن أصبحوا أنقياء القلب، وبسبب قربهم الحميم لله، تنتظرهم هناك عودة إلى الأبدية.(١١)

ويعلّق فلو على مستوَيَيْ كليمنت الإثنَيْن في الكمال كالتالي: "الكمال الذي يُدعى إليه كلّ المؤمنين بواسطة *Stromateis* هو نظرية، اتّحاد تامّ لكلّ قِوى النفس. توجد فيها معرفة ولكنْ فيها محبّة أيضًا، تناغم كامل بين الرغبة والقصد. النوع الأوّل من الكمال(١٢) يقود بشكل طبيعي إلى النوع الثاني لأنّ الثاني مُعطى ضِمْنيًا في الأوّل".(١٣)

الغنوسية التي يتكلّم عنها كليمنت ليست معرفة عقلية مُجرّدة. بل "هي نوع من كمال الإنسان كإنسان، متين ومتناغم مع نفسه، ومع الكلمة السماوية، يكون مكمّلًا من ناحية السُّلطة وأسلوب الحياة والكلام، بواسطة العلم بالأمور المقدّسة. لأنّه بالبصيرة يُكَمَّل ذلك الإيمان".(١٤) يفكّر كليمنت الآن بالله، ليس بالمصطلحات الأفلاطونية بل المسيحية. *الكمال المسيحي بأعلى مراتبه هو شركة*

من الضروري جدًّا أن نميّز بين غنوسية كليمنت والغنوسية الوثنية. فالغنوسية الوثنية معرفة مقصورة على فئة محدودة، ومتاحة فقط لعدد مختار وهم "الروحانيين" (*pneumatikoi*) بالطبيعة. بالنسبة للغنوسي الوثني، "الكامل" هو قلّة مُختارة من الأشخاص؛ أمّا بالنسبة لكليمنت فالغنّوسية الحقيقية متاحة لكلّ المؤمنين. الحقّ هو، اللوجوس- الكلمة السّماوية الذي تجسّد في يسوع المسيح- يقوم بتدريب كلّ الناس في كل مكان على طريق المعرفة الحقيقية والحياة. "معلّمنا هو الله القدّوس، يسوع، الكلمة الذي هو المرشد لكلّ البشرية".

> الله هو مصدر كل صلاح؛ إمّا مباشرة، كما في العهدين القديم والجديد، أو بشكل غير مباشر، كما في الفلسفة. ولكن من الممكن أنّ الفلسفة أُعْطِيَتْ لليونانيين مباشرة، كي تكون "المدرِّس"، الذي يجلب الهلينية للمسيح، كما كان الناموس للعبرانيين. وهكذا كانت الفلسفة تحضيرًا، ممهّدةً الطريق للإنسان الذي يُحْضَر للكمال بالمسيح.(٩)

إنّ تدريب البشرية بواسطة الكلمة كان عملية تعليم متدرّجة. كذلك هو الحال في الكنيسة. "الكلمة الكلّي المحبّة، مُهْتمّ ليكمّلنا في طريق تقود تدريجيًا إلى الخلاص، وهو يستخدم أسلوبًا فاعلًا متكيّفًا تمامًا مع تطوّرنا وتقدّمنا؛ في البداية، هو يقنعنا، ثمّ يربّينا، وبعد كلّ هذا يعلّمنا".(١٠)

فإذا كانت الصلاة مناسبة للشركة مع الله، فلا يجب أن نُهمل أية مناسبة للاقتراب إلى الله. بالتأكيد قداسة الغنوسي (العارف)، الذي ارتبط بالعناية أو التدبير الإلهي، من خلال اعتراف طوعي من جهته، يُظهر هبة الله في الكمال. لأنّ قداسة الغنوسي، كما كانت، عودة للتدبير الإلهي بحدّ ذاتها، وشعور حسّاس بالولاء من ناحية صديق لله.(١٧)

عودة *للتدبير الإلهي بحدّ ذاتها* ! هذه الجملة تُعبّر بوضوح عن الحقيقة المطلقة أنّ كلّ الأشياء هي من الله في حياة المؤمن الذي صار كاملًا. المؤمن "الكامل" يعترف أنّ هناك تدبيرًا إلهيًا مفيدًا يقوم بتشكيل مصيره ويحوِّله إلى شبه المسيح (رو٨: ٢٨-٢٩).

لفهم أي شيء من رؤية كليمنت للكمال، معناه أن تفهم لماذا كتب ألكسندر نوكس (Alexander knox) عن جون وسلي: "لقد كانت غاية قلب وسلي أن يحقّق في شخصه "المؤمن الكامل" الذي تحدّث عنه كليمنت الاسكندري".(١٧)

ب- أوريجين

كان تلميذ كليمنت الأكثر شهرة، وخليفته في رئاسة مدرسة الإسكندرية (التي كانت تعلّم بأسلوب السؤال والجواب)، إنه الشهير أوريجين (١٨٥-٢٥٥). مثل كليمنت، كان أوريجين تلميذًا لكلّ من الكتاب المقدّس والفلسفة اليونانية منذ طفولته. ويقول جيروم أنّه كتب ٦٠٠٠ كتابًا! وحتى لو خفضنا هذا العدد كثيرًا جدًّا، إلا أنّه

مع الله و "مشابهة لله". إنّه نقاء القلب، حميمية مع الله الذي هو محبّة.

الله نفسه محبّة، وبسبب محبّته فهو يلاحقنا... لقد لاحقنا الآب بمحبّته، والبرهان العظيم لهذا الابن الذي وُلد من نفسه، والمحبّة التي كانت النتيجة كانت من إنتاج محبته ... وعندما قدم نفسه فدية، ترك لنا عهدًا جديدًا: "كما أحببتكم أنا تحبّون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا"(يو١٣: ٣٤). ما هي طبيعة ومدى هذه المحبّة؟ لقد وضع حياته من أجل كلّ منا، الحياة التي تساوي قيمتها كلّ الكون، وهو يطلب بالمقابل أن نفعل الشيء نفسه لبعضنا البعض.(١٥)

ويتبع ذلك أنّ الغنوسية (المعرفة) التي يبحث عنها كلّ مؤمن تتضمّن، ليس فقط معرفة الله ومحبّته، بل أيضًا *كمالاً أخلاقيًا*. التصريح الأخير للغنوسية في الكتاب السابع من *Stromateis* تحسم أنّ كليمنت يتّفق تمامًا مع بولس في اعتبار أنّ المحبّة هي هدف الحياة المسيحية. وهو يشدّد على نزاهة المحبّة الكاملة. فهي خدمة الله، بتكريس مطلق، لصلاحه وعمل الصلاح، لا ليراها الناس، بل لتعكس صورة وشبه الرب. الذي يرحم، لا يجب أن يعرف أنه يُظهر رحمة! ويقول فلو" ستصبح هذه الرحمة عادة، نزعة، وهذه الحرية الرائعة من الذات هي غاية النفس".(١٦)

هذا الكمال ليس إنجازًا من قبل الإنسان، بل إنّه عمل الكلمة المعلِّم، هو عطية من الله للمؤمن الذي تعلَّم أن يصلّي بلا انقطاع. الكمال هو عمل المسيح الكلمة الذي يسكن القلب.

على كل الأشياء المدركة بالحواس. المسيحي "الكامل" مثل موسى الذي صعد فوق كلّ الأشياء المخلوقة.(١٩)

ولكلّ الذين يسعون للكمال، فإنّ نصيحة أوريجين الأولى لهم: "إعرف نفسك". وهذا يعني أن نُميّز أنّ الجسد نفسه بكلّ ما فيه من عواطف ورغبات يجب أنْ يُقهَر. إنّ المسيحي متورّط في صراع لا ينقطع مع الجسد الذي يعيقه بينما هو يسعى إلى معرفة الله الكاملة والمعرفة الروحية. ولهذا السبب عليه أن يوظّف أسلحة التنسّك إذا أراد أن يحظى بانتصار على نفسه. ويعلّق فلو: "إنّ قول بولس "*أقمع جسدي*" يُفسّر بهذا المعنى: إنّ كلمات المسيح إن لم ترجعوا وتصيروا كالأطفال تعني كبح أو إماتة الشهوات البشرية، لأنّ الطفل لم يذقْ المتعة الجنسية".(٢٠)

وفي تعليقه على رواية متّى لحادثة التجلّي، يفسّر أوريجين جملة "بعد ستة أيام" (مت١٧: ١) أنّها تعني الذهاب إلى ما بعد الأمور المخلوقة، لأنّ العالم خُلِق في ستة أيام. وإذا أراد أي شخص أن يكون لرأيه قيمة وهو ينظر إلى التجلّي، يجب أن يذهب إلى ما وراء الأيام الستة ولا ينظر بعد ذلك إلى أمور العالم. بعد هذا سيلاحظ سبتًا جديدًا، وسيفرح على جبل الله المرتفع.(٢١)

يتمّ صعود السلم إلى الكمال تدريجيًا. والمسيحي يعلم أنّه لا يوجد توقّف أو انقطاع مفاجئ عن الخطيّة. التغيير هو فقط في رجوع الإرادة إلى إرادة الله. الخلاص من الخطية يبدأ بالمعمودية،

كان أحد أكثر كتّاب العالم القديم وفرة في الإنتاج. كان ناقدًا كتابيًا وهو أول من كتب عملًا في اللاهوت النظامي المسيحي.

في اتفاق وانسجام مع كليمنت، رسم أوريجين تمييزًا واضحًا بين "الإيمان" و "المعرفة"، ولكنّه فسّرهما بطريقة مختلفة. فالإيمان بالنسبة لأوريجين، هو قبول العقائد الأساسية في المسيحية، والمعرفة هي برهانها أو وصفها. *الإيمان يخلِّص، ولكن المعرفة تكمِّل.* لقد أسّس عقيدته في المعرفة على ما كتبه بولس الرسول في كورنثوس الأولى ١٢:

> "علاوة على ذلك، يجب أن نعرف أنّ الرسل القديسين في وعظهم عن الإيمان بالمسيح، تحدّثوا بوضوح شديد عن بعض القضايا التي آمنوا أنّها ضرورية لكلّ المؤمنين، حتى لأولئك الّذين بدوا بطيئين في استقصاء العلم السماوي؛ لكنّهم تركوا سبب قولهم تلك الجمل ليبحث فيها أولئك الذين قبلوا عطايا الروح الممتازة، بالتحديد عطايا اللغة، الحكمة والمعرفة".(١٨)

أن تقبل العقائد المسيحية معناه أن تكون مخلّصًا؛ أن تتابع السعي لمعرفة الحقّ الأعمق المستخلص من هذه العقائد ومن الكتاب المقدس، هو أن تكون لك المعرفة وتحرز الكمال.

وحتى يصعد المرء إلى قمّة الكمال المسيحي، يجب عليه أن يقاوم ويدير ظهره للعالم المادي المنظور، وكذلك للمشاعر البشرية. عندما يدخل المرء المخدع السري للحكمة والمعرفة، فإنّه يغلق الباب

لكنّه لا يتحقّق بنشاطنا؛ فالله يلعب الجانب الأكبر في تفعيله".[٢٥] يقصد أوريجين بوضوح أنْ ينسب الكمال إلى نعمة الله: "في ما يتعلّق بخلاصنا، الإرادة والفاعلية تأتي من الله".[٢٦] لكن في شرحه كيف يكون ذلك صحيحًا، فإنّه يفشل في فهم عقيدة النعمة في العهد الجديد في خلاصنا، تأتي المبادرة كليًّا من الله. عقيدة أوريجين هي عقيدة "الإرادة الحرة" أكثر منها عقيدة "النعمة الحرة". حتى لو كان الإنسان معوّقًا ومشوّشًا من الخطيّة، "فبالتدريب تصبح الطبيعة البشرية مؤهّلة للحصول على البركة الحقيقية". كلّ ما نحتاج إليه هو معونة الله. المبادرة ليست من قِبَل الله ولكنّها من قِبَل الإنسان. إنّ فهم الخلاص مُتمَركز حول الإنسان أكثر من كونه مُتمركزًا حول الله.

لهذا السبب، تأخذ العقيدة في تعليم أوريجين "طورًا قدريًا"،[٢٧] مستبدلاً المقدّمات الكتابية بالافتراضات المُسبقة للفلسفة اليونانية.

١- بالنسبة لأوريجين، الإيمان ليس ثقة شخصية لكنّه موافقة عقلية على الحقيقة. يصبح الخلاص، بشكل محتوم أمرًا يعتمد على جهد الإنسان. المعرفة التي يقبلها المسيحي الكامل عقلية أكثر منها روحية.

٢- إنّ التقييم السلبي للجسد البشري أفلاطوني وليس كتابي؛ وهكذا يأتي الكمال من خلال الانتصار على الجسد. وحتميًا، سيتمّ فهم الخطية في إطار الرغبة الجنسية. بسبب سقوط آدم، صار

فهناك يتوقّف المرء عن أن يكون خاطئًا. والمسيحي الذي تعمّد ليس خادمًا للخطيّة في ما بعد؛ نعم هو يخطئ، لكنّه ليس خاطئًا.[٢٢] بمساعدة الله، سينتصر تدريجيًا على خطاياه ويحقّق تقدّمًا واضحًا نحو الانتصار على الشرّ الأخلاقي.[٢٣]

ويقول أوريجين في ردّه على أولئك الذين يشكّون في إمكانية الكمال الأخلاقي:

> تكتسب الطبيعة البشرية، بتدريب الإرادة، القدرة على السير على حبل مشدود مرتفع معلّق في المسرح... وتُكتسب هذه القدرة بالتدريب والتطبيق: هل علينا أن نفترض أنّه من المستحيل على الطبيعة البشرية أن تعيش بالفضيلة، إذا أرادت ذلك، حتى لو كانت في الماضي غارقة في انحطاط شديد؟ إن الشخص الذي يقول ذلك يجلب بالتأكيد اتهامًا ضدّ شخصية الخالق أكثر منه ضدّ الخليقة. باقتراحه هذا، فإنّ الله جعل الطبيعة البشرية مؤهّلة لأنْ تُنْجز أشياء صعبة ولكنّها بلا قيمة، وغير مؤهّلة للحصول على البركة الحقيقية الخاصة.[٢٤]

حتى لو كان تحقيق هذا الكمال ليس ممكنًا بدون مساعدة نعمة الله، فالمخطَّط بشكل أساسي إنساني. يأخذ الإنسان المبادرة، والله يساعد. ويشرح أوريجين: "إنّ إرادة الإنسان غير كافية للوصول إلى النهاية - أي إلى الخلاص-، كما أنّ سعي العدّائين غير قادر على بلوغ 'جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع'. وهذا لا يتمّ إلا بمعونة الله ... إنّ كمالنا لن يتمّ إذا بقينا غير فاعلين،

للحياة المسيحية. آخذًا كلمات يسوع في (مت١٩: ١٢) كمشورة للكمال، أوريجين ذاته خصى نفسه ليكون "خصيًّا لملكوت الله"! كان الوقت ملائمًا لأولئك الذين تمنّوا أن يكونوا "كاملين"، ليهربوا من العالم و "ليقهروا" أجسادهم. على أنّ الأشخاص الذين يجب أن يبقوا في العالم المادي غير مبالين بمشورة الكمال، هؤلاء تُرِكوا ليتصارعوا مع حياة الخطيّة وعدم الكمال. ويظن ووكر (Walker)، "ربّما تكون الفكرة الأسوأ حظًا في هذه الفكرة المزدوجة، أنها اتّجهت لإحباط جهود المؤمن العادي".[٣١]

جسدنا "جسد الخطية". تتكاثر الخطية بالفعل الجنسي نفسه، من خلال نسل الذكر. ولهذا السبب لم يكن للمسيح "جسد خطية" لأنه "لم يُحمل به من زرع بشر".(٢٨) "وهكذا فكلّ إنسان ملوَّث بسبب الأب والأم، إلا ربّي يسوع فقد وُلِد بدون أي تلوّث أو تلطّخ".(٢٩) وصلت هذه العقيدة مع أوغسطين إلى كامل إزدهارها، كما سنرى، مع الخطيّة الأصلية التي صارت تُعتبر إفتراضيًا بأنّها الشهوة والرغبة الجنسية، ولكنّها تُفهم بشكل فعّال على أنّها كذلك.

٣- أصبح الكمال صعود النفس الباطني أو الصوفي "للسلَّم المقدس". هو ليس عطيّة محبّة الله المُضحّية (agape) للإنسان والتي تُقْبل بالإيمان من خلال النعمة؛ لكنّها تعبير عن تتميم محبّة الإنسان لله (eros)، ومن هنا، فالإنجاز هو إنجاز للإنسان الذي يتلقّى مساعدة من نعمة الله. مع أنّ أوريجين يشير إلى الروح القدس على أنّه مقدِّسنا، إلا أنّه في فقرته *De principiis* ، والتي أورد فيها هذه النقطة، لم يربط تقديس الروح القدس بعمل المسيح الفدائي. ويقول ماك جيفرت، "الحقيقة أنّ فِكر أوريجين كان متخبّطًا ومشوّشًا في موضوع الخلاص كلّه على أنّه عمل من شأن الروح القدس".(٣٠) بتخبّطه هذا، هو يُضحّي بتعليم العهد الجديد، بأنّ خلاصنا من البداية إلى النهاية، بشكل كامل وبشكل منفرد، هو بواسطة نعمة الله.

٤- وأخيرًا، فتح أوريجين الباب للحياة الرهبانية من خلال فكرته في الكمال عن طريق التنسك، والنتيجة هي وجود معيار مزدوج

الفصل الخامس

الكمال الرهباني

كانت الكنيسة أيام الرسل بلا شك تتكوّن بشكل كامل وحصري من مسيحيين مختبرين. احتاج أشخاص منهم إلى تلمذة، كما تكشف ذلك قراءتنا لرسائل العهد الجديد، ولكن كان الأمر المثالي للكنيسة أن تكون "بلا عيب أو غضن أو أي شيء مشابه".

لكن نمو الكنيسة في الإمبراطورية، عمل على تخفيف قوة مفهوم الكنيسة المقدّسة. في بدايات القرن الثالث كان هناك الكثير من الأشخاص الذين كان آباؤهم، أو ربّما أجدادهم البعيدين، مسيحيين اختباريين، لكنّهم كانوا، بالرغم من مشاركتهم في اجتماعات العبادة العامة، مسيحيين أكثر قليلًا من اسميّين. نَمَتْ الكنيسة في القرنين الثالث والرابع بسرعة، وأصبح تزايدها عالميًا. ولأنّ ممارسة المسيحيين العاديين نَمَت بشكل أقلّ حماسًا واتّقادًا، فقد نما فكر التنسّك في فكر الأشخاص الجادّين. وقد حثّ الدّيداخي Didache (كتاب تعليم الرسل أو ما يُسَمّى الدسقولية)، وهو دليل كنسي صيغَ في النصف الأول من القرن الثاني، على: "إذا كنت قادرًا على حمل نير الرب كلّه ، فإنّك ستكون كاملًا؛ ولكن إن لم تكن قادرًا، افعل ما أنت قادر على فعله".

والممارسات التي انتهكت الضمير المسيحي، وظهر أنّه من الأسلم أن يفرّ المرء منها. وفضَّلت العقلية القديمة حياة التأمّل الروحي على الحياة النشيطة. وفوق كلّ هذا، قاد التمسك الشديد بالشكليات في اجتماعات العبادة العامة، والتي تطوّرت قبيل القرن الثالث، الاشتياق لِمُحَرّر، وإلى اقتراب فردي أكثر إلى الله.

يظهر أنّ هذه هي الأمور القوية التي أوجدت الحركة الرهبانية. في قلب الرهبنة، كانت هناك الأشواق لاستعادة الطهارة المفقودة وقوة الإيمان المسيحي، لإعطاء اهتمام جادّ لدعوة المسيح للكمال. ويصرح "ر. نيوتن فلو" أنّ "الرهبنة هي المحاولة المنظَّمة الأوضح، لتحقيق الكمال المسيحي في كلّ تاريخ الكنيسة الطويل".(١)

أ- بدايات الرهبنة

كان أنطونيوس (Anthony)، أبو الحياة الرهبانية، من سكان قرية كوما في مصر الوسطى. ويخبر أثناسيوس أنّ أنطونيوس كان في طريقه إلى الكنيسة، وكان محزونًا لشعوره بعدم القيمة، مقارنةً بالرسل الذين تركوا كلّ شيء ليتبعوا المسيح. وصادف أنّ قراءة الإنجيل في ذلك اليوم كانت كلمات المسيح للشاب الغني: "إذا أردت أن تكون كاملًا...!"، لقد جاءت ساعة أنطونيوس، باع كلّ ما يملك واشترى حرّيته "من قيود العالم". كان هذا حوالي عام ٢٧٠م.

الاتّجاه للفصل بين المؤمنين الأقوياء في حياتهم المسيحية، والمؤمنين الضعفاء، أيَّده بقوة ترتليان وأوريجين عن طريق تمييز واضح بين "الوصيّة" و"المطالب" التي يقدّمها الإنجيل. فبينما تلزم المتطلبات كلّ المسيحيين، فالوصيّة لأولئك الّذين يريدون أن يكونوا بشكل حقيقي مقدّسين.

قال المسيح للشاب الغني، "إن أردت أن تكون كاملًا فاذهب وبعْ أملاكك وأعطِ الفقراء فيكون لك كنز في السماء"(مت١٩: ٢١). وأعلن أيضًا أنّ البعض هم "خصيان...لأجل ملكوت السموات"(مت١٩: ١٢). وأيضًا أنّه "في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون"(مت٢٢: ٣٠). وكتب بولس "لغير المتزوجين وللأرامل إنّه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا"(١كو٧:٨). وأُخِذَت هذه الآيات بحرفية نوعًا ما، من قِبَل أولئك الذين تاقوا للقداسة الحقيقية؛ ولكن الفقر الاختياري والعزوبية الاختيارية، اعتُبِرَا وصيّةً لم يستطع المؤمن العادي أن يحقّقها. وكما سنرى، صارت هذه النصوص أحجار الأساس للحياة الرهبانية والصوفية المسيحية.

إنّ تحوّل قسطنطين إلى المسيحية، والاعتراف بالمسيحية كدين الدولة الرسمي في الإمبراطورية، قاد إلى تدفّق عدد كبير من الوثنيين إلى الكنيسة، ومن ثمّ، إلى ازدياد التقدير للحياة الصوفية من قِبَل المسيحيين الجادين فكريًا. لقد جعل تَوقُّف الاستشهادُ الحياةَ الصوفيةَ الإنجاز الأعلى في الحياة المسيحية. امتلأ العالم بالمشاهد

ووسَّع كتَّاب آخرون الفكرة. هدف الحياة الروحية هو ملكوت الله، التي تعني طهارة القلب. يجب على المرء أن يعتزل عن العالن لكي يصبح كاملًا، ويقاتل الجسد، ويشنّ حربًا ضدّ الخطيّة حتى الموت؛ ولكن قمّة الكمال هي الصلاة، الصلاة بلا انقطاع. بينما بقيت حياة التأمّل الروحي والشركة إحدى مُثُل الرهبنة، رأى كثيرون حياة التنسّك أنّها عمل خدمة مثمرة لرفقاء المتنسّك. في الحقيقة، أخذ باسيليوس قضيّة حياة التنسك كنهاية بحدّ ذاتها:

> إنّ محبّة المسيح لا تسمح لنا أن ينظر كلّ واحد إلى مصلحته. لأنّ "المحبّة" كما نقرأ "لا تطلب ما لنفسها". حياة التنسّك لها هدف واحد الآن، خدمة احتياجات الفرد ولكن هذا باختصار يتعارض مع ناموس المحبّة، الذي تمَّمه الرسول، عند عدم سعْيه لمصلحته الخاصّة بل لمصلحة الكثيرين، وهي أن يَخلُصوا.(٣)

ودافع كاسيان في معارضته لباسيليوس، عن تفوّق الحياة الصّوفية. ومن خلال توما الأكويني احتلّ مفهوم الحياة الصوفية موقعًا متفوّقًا في الكنيسة الكاثوليكية. ولكنّ يوحنا فم الذهب وجيروم، في الكنيسة الشرقية، اتّبعوا إنكار باسيليوس. علامة أخرى لمُثُل الرهبنة هي الصليب. الراهب يأخذ أو يحمل صليبه ليتبع المسيح. إنّ موقف باسيليوس تجاه نكران الذات، يُعتبَر نموذجيًا. ويكتب بعد اقتباسه (مت١٧: ٢٤، لو١٤: ٣٣ و٢٦)

> وِفقًا لذلك فنكران الذات الكامل يكمن في الهدوء الكامل، فيما يتعلّق بالحياة الفعلية، آخذين "جزاء الموت" لكي لا يضع ثقة في نفسه.

في البداية بدأ أنطونيوس حياته الرهبانية في قريته الأم، ولكن بعد مضي ١٥ سنة، ذهب في عزلة وأصبح راهبًا. "وأكّد هدفه أنّه لن يعود إلى مكان إقامة آبائه، ولن يتذكّر أقرباءه أو أنسباءه؛ ولكنّه سيُحافظ على رغبته وطاقته ليكمِّل تلمذته".(٢)

بلا شك، لقد جهَّزت العديد من الحركات الفكرية التربة للرهبنة، فكرة اعتبار أنّ الحياة الجسدية شرّ، إعتبار الحياة التأملية متفوّقة على الحياة اليومية، اشتياق الأفلاطونيين المحدثين للرؤية المبهجة، ولكنّ البذرة ذاتها سهلة التمييز. وقد بُذِرَت بواسطة أولئك العمّال النشطين في حديقة الكنيسة".

كانت غاية أنطونيوس أن يبلغ الكمال. لذلك جهَّز نفسه ليحظى بالفضائل التي رآها في الآخرين، وبحياة صلاة لا تتوقّف ليجد الشركة الحقيقية مع الله. أنْ تقرأ الوثائق الرهبانية الأخرى الباكرة معناه أنْ تجد السعي نفسه نحو الكمال. رهبان الكنيسة- باخوميوس، باسيليوس، بينيدكت، وبعدهم بكثير فرنسيس الأسيزي- سمعوا دعوة الله نفسها للكمال.

ب- مُثُل الرهبنة

بالنسبة للراهب المسيحي، كانت هناك حقيقتان فقط، الله ونفسه، نفسه والله. كانت الرهبنة ديانة النفس الوحيدة مع الله. كان أحد نصوص أنطونيوس البالغة الأهمية "ملكوت السماوات في داخلك".

أمامه. ما هي علامة المسيحي؟ أن يراقب في كلّ ليل ونهار أنّ لديه الكمال الذي يسرّ الله، عالِمًا أنّ الربّ يأتي في ساعة لا يظنّها هو.[٥]

لا يُمكن الشك أنّ باسيليوس آمن أنّه يُمكن للقلب أن يتنقّى في هذه الحياة من الخطيّة، وأنّه من الممكن المحافظة على وصايا المحبّة.[٦] وكتب و.ك. لوثر كلارك (W.K. Lowther Clarke) عن باسيليوس: "هو يؤمن بشدّة بالتقديس. في الروح وبواسطة الروح، يُمكن للسلوك المسيحي أن يتجنّب الخطيّة تحت أفضل ظروف الرهبنة".

في قواعد باسيليوس وبيندكت، هدف الكمال هو أن يكون اجتماعيًا. ليس من العدل أن يُحكَم على الرهبنة بصياغاتها الفردية المتشدّدة، أو أن نفكر فيها بأشكالها المنحطة والمتفسّخة، والتي تُنقد بشدة من قِبل الإصلاحيين البروتستانت.

يجب ألا ننسى الرهبان البيندكتيين الذين أصبحوا مُرسلين إلى أوروبا. وفي النماذج الأكثر نُضْجًا في الرهبنة، كانت المهمة المثالية للرهبان مثل تلك التي كانت للبقية في العهد القديم وهي: مساعدة الكنيسة في مهمتها لتطهير نفسها، ونشر البشارة للعالم. وأشار بول تيليخ (Paul Tillich) بشكل صحيح للأمر بقوله: "تمثل الرهبانية النقيض العنيد للعالم، ولكن لم يكن هذا النقيض نقيضًا صوفيًا منعزلًا. لقد كان نقيضًا مرتبطًا بنشاط إلى تغيير العالم من خلال العمل والعلم وأشكال الثقافة الأخرى وأسلوب فنّ

حيث أنّ بداياتها تتألّف من الانعزال عن الأمور الخارجية، مثل الممتلكات، عادات الحياة العامة، أو الارتباط بأمور عديمة الفائدة ... لذلك فالمرء الذي تحكمه الرغبة المتّقدة في اتّباع المسيح، لا يعود بمقدوره الاهتمام بأي شيء له علاقة بهذه الحياة.

لكنّ باسيليوس يُوضّح أنّ الهدف النهائي لنكران الذات، هو معرفة المسيح والوصول إليه. ويقتبس، كشخص فاهم، كلمات بولس الرسول: "الذي من أجله خسرت كلّ الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح". ويعلّق باسيليوس، "إنّ أعظم هذه كلّها، هو نكران الذات الّذي هو بداية كوننا نُصنَع على شبه المسيح". الهدف هو "المحبّة تجاه الله، التي تحفّزنا باتجاهين، أن نعمل وصايا الرب، والتي بدورها تُحفَظ بواسطتهم باستمرار وأمان".[٤]

البرهان الأكثر روعة للرغبة في الدخول في شركة مع المسيح المصلوب، هو المشاعر التي تتبض بالحياة من خلال المقاطع الختامية للمورالیا (Moralia):

ما هي علامة المؤمن؟ أن يكون طاهرًا من كلّ تلوّث الجسد والروح، بدم المسيح .... ما هي علامة أولئك الذين يأكلون خبز الرب ويشربون كأسه؟ ليتذكّروا إلى الأبد ذاك الذي مات عنّا وقام ثانية. ما هي علامة أولئك الذين يحفظون هذه الذكرى؟ أن يعيشوا في ما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات عنهم وقام ثانية. ما هي علامة المسيحي؟ يزيد برّه في كلّ شيء، على برّ الكتبة والفريسيين، بحسب تعليم الرب في الإنجيل. ما هي علامة المسيحي؟ أن نحبّ بعضنا بعضًا كما أحبّنا المسيح أيضًا. ما هي علامة المسيحي؟ أن يرى الرب دائمًا

كلّي من الخطيّة ومن ظلمة الميول: وتنقية بالروح القدس، وتقديس في النفس والجسد، لتصبح تلك النفس إناءً نظيفًا مُعَدًّا لقبول المسحة السماوية، وسُكْنى المسيح، الملك السماوي والحقيقي. وبعد ذلك تُملأ النفس من الحياة السماوية، وتصبح مسكنًا نقيًا للروح القدس".[١١]

اعتمدت عقيدة مكاريوس في الكمال على تجسّد المسيح. لأنّ الله أتى إلينا في المسيح، صار لنا أن نقبل الروح المقدِّس ونصبح كاملين.

> تُلقّب النفس بمسكن وهيكل الله، فالكتاب يقول، *سأسكن فيهم أسير* بينهم. لذلك، سرَّ الله؛ لأنّه أتى من السماوات المقدّسة، وتقبّل بسرور طبيعتك الرخيصة، الجسد، الذي هو تراب، وخلَطَه بروحه القدّوس، من أجل أن تَقبَل أنت، الأرضيّ، النّفس السّماوية. وعندما يصبح لنفسك شركة مع الروح القدس، وتدخل النفس السماوية إلى نفسك، عندئذ تكون شخصًا كاملًا في الله، ووريث، وابن.[١٢]

"هذه هي القمم التي لا تبلغها النفس مرّة واحدة؛ بل من خلال أعمال وصراعات عديدة، بتجارب وإغراءات متنوّعة، تنمو النفس وتتطوّر روحيًا، إلى أن تأتي إلى تحرير كامل من الميول والأهواء القديمة".[١٣] الشخص الذي يرغب أن يصير "قصرًا أو منزلًا للمسيح، ويكون مملوءًا من الروح القدس، ليثمر ثمر الروح القدس، ويُنفّذ أوامر المسيح بطهارة، يجب أن يبدأ أولًا بالإيمان بالربّ، ويُخصّص نفسه بالكامل لوصاياه، ويعمل حفلة وداعية يودِّع بها العالم".[١٤]

وبناء الكنيسة والشعر والموسيقى. كانت ظاهرة ممتعة للغاية، ولها علاقة ضعيفة مع الرهبنة الفاسدة، والتي كان الإصلاحيون والإنسانيون يحاربونها. من جهة أخرى، كانت تلك حركة راديكالية للاستقالة من العالم والانعزال عنه، ولكنّها من جهة أخرى لم تقبل أن يكون لها شكل التنسّك الصوفي؛ ولكنّها كرّست نفسها لتغيير الواقع".(٧)

ج- مكاريوس المصري (Macarius the Egyptian)

من الممكن أن نأخذ عظات مكاريوس المصري كنموذج عن مفهوم الكمال في الرهبانية. بالرغم من معرفتنا القليلة بها اليوم، إلا أنّه كان لها تأثيرها على تاريخ الكمال. قرأها وليام لو بإعجاب، ونشر جون وسلي مقتطفات منها في المجلّد الأوّل من (*Christian library*)، وهي سلسلة مصمّمة لتغذية الميثودستيين، في البداية، بأروع كتابات القديسين.(٨)

علَّم مكاريوس أنّ الإنسان أُلبِس مجد الله كثوب. وهذا المجد فُقِد بسبب الخطيّة، ولكنّه يُسْتَرَدّ الآن للقدّيسين، عن طريق عطيّة الرّوح القدس. "يُصبح الإنسان الداخلي شريكًا بتناول في ذلك المجد في الحياة الحاضرة، ويحظى بقداسة الروح القدس" الذي سيُغلّف أجسادنا الحقيقية في القيامة، عندما يجيء المسيح ليخطفنا.(٩)

إنّ كمال القدّيسين هو "حضور وإنارة الروح القدس، التي لا يُعبَّر عنها، الشركة السّرية بملء النعمة".(١٠) إنّ رجاء النفس هو "فداء

يجب على المؤمن الذي يودّ أن يمتلئ من الروح القدس، أن لا يكون لديه "التعقّل أو الحذر" فقط ليميّز خطيّته الباقية؛ بل يجب أنْ يستمرّ بإلحاح في الصلاة، بإيمان وتوقّع من الرب، منتظرًا في كل وقت مساعدته، مع تصميم كامل في عقل راسخ تجاه تلك المساعدة".[١٩] وعليه أنْ "يجبر نفسه" على الطاعة بقلب كاملٍ لوصايا الرب، "واضعًا الربّ أمام عينيه في كلّ وقت، وراغبًا في مسرّته وحده، بوداعة القلب". ولكن أخيرًا "الأمور التي يقوم بها الآن بشكل عنيف، وبقلب مقاوم، سيعملها في الوقت المناسب بحرية ...لأنّ الربّ... يُريه رحمةً ويفديه من أعدائه ومن الخطيّة التي سكنت فيه، *مالئًا إيّاه بالروح*. وهكذا للمستقبل، سينفّذ وصايا الرب بالحق دون صعوبة. بالأحرى، الرب نفسه جعل وصاياه فيه؛ وبعدها يثمر ثمر الروح بطهارة".[٢٠]

عندما أتى الروح القدس بكلّ ملئه، هو يعلم المؤمن "الصلاة الحقيقة، المحبّة الحقيقيّة، الوداعة الحقيقية– والتي أجبر نفسه من قبل عليها، وبحث عنها، والتي شغلتْ أفكاره كلّها".[٢١]

وهكذا نتمّم وصايا الرب عن طريق الروح القدس، والروح القدس يكمّلنا في ذاته، ويكون هو نفسه مكمّلًا فينا، عندما طَهّرنا مرة من كلّ تلوّث وتلطيخ الخطيّة، وبعد ذلك يقدِّم نفوسنا للمسيح كعرائس جميلة، طاهرة وبلا لوم؛ ونحن، في المقابل، واضعين أنفسنا في الله، في ملكوته– والله، من جهة أخرى، يجد راحته بنا إلى زمان لا ينتهي![٢٢]

وهكذا، فالشخص الذي يأتي إلى المسيح يولد من الله، ويُصبح إنسانًا جديدًا. ويقتبس مكاريوس بعد ذلك (٢كو٥: ١٧): "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة".

> لأنّ ربّنا يسوع المسيح أتى لأجل هذا السبب بالذات، ليُغيّر، ويجدِّد، ويخلق من جديد، تلك النفس التي أُفسِدت بالميول الرديئة، مُصْلِحًا إيّاها بروحه السّماوي نفسه. أتى ليصنع فكرًا جديدًا، نفسًا جديدة، عيونًا جديدة، آذانًا جديدة، لسانًا روحيًا جديدًا؛ نعم، ليصنعهم – أولئك الذين يؤمنون به– *أناسًا جددًا*، ليسكب في داخلهم *الخمر الجديد*، والذي هو روحه القدّوس.[١٥]

ولكن بالرغم من أنّ التغيير الأوّل معجزي ومُغيِّر، "لا يزال هناك بقية فساد" في المؤمن.[١٦] لكن، "غير المستعدين وغير الماهرين، يَتخيّلون أنّه في الوقت الحاضر لن يكون لديهم خطيّة. حتى أولئك الّذين لديهم روح تمييز، لا يُمكنهم أن يُنكروا أنّه حتى نحن الّذين لدينا نعمة الله، أنّنا نُهاجَم ثانية من الأفكار الشريرة. ولدينا شواهد من بين الإخوة، الّذين اختبروا درجة من الفرح والنعمة، أكّدوا بعدها أنّه لمدة خمس أو ست سنين، لم توجد خطيّة في حياتهم؛ وبعد كل هذا، عندما ظنّوا أنّهم تَحرّروا كليًا من الخطية، استيقظ الفساد الكامن فيهم مجدّدًا، وكانوا تقريبًا دُمّروا".[١٧] يذكر جون وسلي هذا الاقتباس في عظته "طريق الكتاب للخلاص"، كدعم لعقيدته عن الخطيّة في المؤمنين.[١٨]

داخليًا مُحَصَّنون بقوّة الربّ... بالرّغم من أنّهم خارجيًا مُجرَّبون، فهم داخليًا مملؤون بالطبيعة الإلهية، وبذلك لا شيء يتضرّر.

ولكن، يسلِّم مكاريوس بأنّ المرء الذي لم يأتِ بعد إلى محبّة المسيح المكمّلة، "حتى الآن هو باقٍ داخليًا في الحرب. منتعش لساعة واحدة بالصلاة، وفي ساعة أخرى يكون في حالة حزن وكرب.... هو ما زال طفلًا. ويردّد مكاريوس صدى صوت بولس في كورنثوس الأولى وهو يقول، "الكثير من إخوتنا لديهم مواهب الشفاء، النبوّة والإعلان؛ لكن، لم يبلغوا للمحبّة المكمّلة، أتت الحرب عليهم، وسقطوا. في الواقع، إذا أتى أحد إلى المحبّة المكمّلة، هو في ما بعد، للأبد مُحاط ومأسور بالنعمة. وإذا تقدّم أحد خطوات صغيرة إلى الأمام، تجاه هذا، فهو ما يزال في عبودية للخوف وللحرب وللسقوط".(٢٥)

إنه من الشيِّق أن يتحدّث مكاريوس عدة مرات عن معمودية الروح القدس في إشارة إلى التقديس.

سؤال. ما المقصود بهذه الكلمات "ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان"؟

جواب. في ذلك الوقت عرف الناس العظماء، والأبرار، والملوك أنّ الفادي كان على وشك أنْ يأتي: لكن أنْ يسكب دمه على الصليب، لم يعرفوا، ولا حتى سمعوا، ولا دخل لقلوبهم أن يكون هناك معمودية بالروح القدس والنار، وأنّ المؤمنين كانوا سيقبلون المُعزّي، وسيُلبسون قوة من الأعالي، وسيمتلئون بالألوهية.(٢٦)

الكمال المسيحي، لهذا السبب، هو أن تكون "طاهر القلب بالروح القدس".(٢٣)

لذلك، دعونا نؤمن به، ونأتي إليه بالحقّ، وهو سيُتمّم عملية الشفاء في دواخلنا بسرعة:- لأنّه وعد أن "يعطي الروح القدس للّذين يسألونه؛ وأن يفتح للّذين يقرعون؛ وأنْ يوجَدوا مَنْ يبحثون عنه: "والذي وعد لا يقدر أنْ يكذب. له المجد إلى الأبد، آمين.(٢٤)

هذه *العظات* تبثّ روح التوقّع هذه والثقة في نعمة الله المقدِّسة. ويُمكننا أنْ نستخدم اقتباسًا بعد آخر لنثبّت أنّ مكاريوس علَّم عقيدة التقديس الداخلي، والتي تشكّل تقريبًا أساسًا لكلّ نقطة في التعليم الوسلي. بالنسبة لمكاريوس، نعمة الله في المسيح، كافية لأنْ تستعيد الإنسان للقداسة التي فقدها عن طريق تعدّي آدم. في الواقع، الغرض الحقيقي للفداء هو "أن تستعيد إليك الشكل الأصلي لآدم بطهارته".

سؤال. هل يتمّ استئصال الرغبة الطبيعية فينا للخطية بمجيء الروح القدس؟

جواب. الخطية استُأصِلَت، ويقبل الإنسان الوضع الأصلي لآدم بطهارته. ومن خلال قوة الروح القدس، ينمو المرء ليصبح مثل آدم الأوّل؛ نعم، بل أعظم منه.

سؤال. هل للشيطان حدود معيّنة أم له الحقّ أن يصول ويجول كما يحلو له؟

جواب. الشيطان لا ينام أبدًا. ما دام المرء يعيش في هذا العالم، ويلبس جسدًا، فإنّه سيواجه حربًا. لكن.... المؤمنون يُلبَسون الروح القدس وهم في راحة. وبالرغم من أنّ الحرب تقوم من لا شيء، فهم

اكتشف جون وسلي في مكاريوس رفيقًا روحيًّا. ونواجه إعجابًا صغيرًا في مقدّمة يوميّات وسلي: " قرأت مكاريوس وأنشدت!"[٣١]

د- غريغوري النيسي

يعتبر ألبرت أوتلر (Albert Outler) غريغوري النيسي "أعظم جميع معلّمي الكنيسة الشرقية في بحث الكمال". لا يُمكن لأيّ مسح للعقيدة أنْ يتجاهل مساهماته في الموضوع. وقد خصّص غريغوري بَحثَيْن للموضوع، "ماذا يعني أن تدعو أحدًا مسيحيًا؟ (On what it means to call oneself a Christian?) و"الكمال (On perfection)". بالنسبة لغريغوري، المسيح هو النموذج الأصلي للحياة المسيحية، والعنوان البديل لعمله "الكمال (On perfection)" هو "ما الأمور الضرورية للمسيحي ليكون مسيحيًا؟" (On What it is necessary for the Christian to be?). تظنّ فيرجينيا كالاهان (Virginia Callahan) أنّه كان من الأفضل أن يكون عنوان العمل "المسيح، نموذج الكمال"، بما أنّ الجزء المركزي للعمل، يتكوّن من تحليل مفصَّل لثلاثين مرجعًا كتابيًا عن المسيح في كتابات بولس، "الذي، وِفقًا للقديس غريغوري، عرف أكثر من أيّ شخص آخر مَنْ هو المسيح، وعمل تغييرًا في نفسه بتقليده المسيح".[٣٢]

وفـي عظـة أخـرى يقـول "بيـنهم - أي اليهـود- المعموديـة كانـت تقدّس الجسـد، لكـن معنـا فهـي معموديـة الـروح القـدس والنـار".[٢٧] "يجب علينـا، لهذا السبب، أنْ نؤمن بكل قلبنـا بوعوده التـي لا يُعبَّر عنها، أنْ نحبّ الرب، وأنْ نكون جادّين بكلّ الفضائل، وأنْ نتضرّع باستمرار لاستقبال وعد روحه بشكل كلّي وكامل".[٢٨]

تختلط الصوفية الباطنيـة والأخلاقيـة لدى مكاريوس بأسلوب ما، يذكّرنا بالعهد الجديد. المؤمن الكامل هو الممتلـئ بـالروح القدس، ويتمتّع "بالشركة السّريّة في مِلء النعمة"، ولكن البرهان النهائي أنّه مملوء بالروح القدس، هو المحبّة التي يتكلّم عنها بولس في كورنثوس الأولى ١٣.[٢٩] ويكتب بلغة تذكّرنا بالرسول في ٢كو ٣: ١٨، عن الحياة المسيحية كواحد ينظر إلى المسيح مُطَوّلًا، الّذي يطبع صورته فوق قلوبنا.

> كفنـان يرسم الصّور الشخصية يركّز عينـه علـى وجـه الملك ويرسـم، وعندما يكون وجه الملك باتجاهه، فإنّه يرسم بشكل أسهل وأحسن،... وبطريقة مشابهة هكذا المسيح، الفنّان الجيّد، يرسم فورًا لأولئك الذين يؤمنـون ويتفـرّسون فيـه باسـتمرار صـورةً علـى غـرار صـورته: إنسـانًا سماويًا... يجب علينا لهذا السبب أن نتفرّس فيه، مؤمنين ومُحبّين لـه، نرمـي كـلّ الأشـياء الأخـرى ونُعنـى بـه، مـن أجـل أن يرسـم المسـيح صورته السماوية ويرسلها إلى داخل نفوسنا، وهكذا نلبس المسيح، لكي نقبل الحياة الأبديـة، وحتـى هنـا سنحصـل علـى ضـمان كامـل ونكـون مرتاحين.[٣٠]

"ويستشهد بسؤال بولس، "أي شركة للنور مع الظلمة؟" كبرهان على أنّ الإنسان الذي يمتلك هذه المتناقضات، يصبح عدوًّا لنفسه، وينقسم بين طريقي الفضيلة والشر"، وهكذا "يخوض معركة غير منسجمة مع نفسه".[٣٦] ويشير مرّات عدّة إلى "الحرب الأهلية" الّتي لا تنتهي، إلا بمقتل عدوّي"، أي الخطيّة الباقية.[٣٧]

وفي إشارة إلى المسيح "كقوّة الله وحكمة الله"، يلاحظ غريغوري أنّ الشخص الّذي يُصلّي ينجذب نحو نفسه، وينظر باتّجاه المسيح ("الذي هو قوة") و (يقوّينا بقوّة في الإنسان الداخلي)، كما يقول الرسول، والشخص الّذي يَنشُد الحكمة، التي هي الرب...يُصبح حكيمًا".[٣٨]

المسيح يصير "سلامنا" ليس فقط عندما يُصالح "أولئك المحاربين باستمرار ضدّ الأمور الخارجية، ولكنْ أيضًا العناصر المتغيّرة بداخلنا، حتّى في ما بعد لا (يشتهي الجسد ضدّ الرّوح والرّوح ضدّ الجسد)".[٣٩] إنّ تعريف السّلام هو انسجام وتآلف الأجزاء المتخالفة. عندما تُطرَد الحرب الداخلية من طبيعتنا، بعدها نصبح سلامًا، ونُظهر أنّ اعتمادنا على اسم المسيح كان صحيحًا وجديرًا بالثقة".[٤٠]

"معرفة المسيح 'النور الحقيقي'، ضروري لينير حياتنا بإشعاعات...'شمس البر'، الّتي ترسل شعاعًا لإنارتنا". "إذا كنّا

يقتبس غريغوري من بين النّصوص البولسية، تلك النّصوص للمسيحي الباحث عن الكمال، والتي تُعلن أنّ المسيح هو "قوّة الله وحكمة الله"(١كو ١: ٢٤)، "سلام" (أف٢: ١٤)، "نور لا يُدنى منه" في الّذين يسكن فيهم الله (١تي٦: ١٦)، "قداسة وفداء"(١كو ١: ٣٠)، "بهاء مجده ورسم جوهره" (عب١: ٣)، "طعام روحي" (١كو ١٠: ٣)، " شراب روحي وصخرة روحيّة"(١كو ١٠: ٤)، "رأس الجسد الكنيسة" (كو ١: ١٨)، "بِكر كل خليقة" (كو ١: ١٥)، "بِكرًا بين إخوة كثيرين"(رو٨: ٢٩)، "بِكر من الأموات"(كو ١: ١٨)، "وسيط بين الله والناس" (١تي٢: ٥)، "ابنه الوحيد" (يو٣: ١٦)، "ربّ المجد" (١كو٢: ٨).[٣٣]

يفترض غريغوري أنّه "من الضّروري لأولئك الّذين يَدعون أنفسهم على مثال المسيح، أوّلًا، وقبل كلّ شيء، أن يُصبحوا ما يتضمّنه الاسم، وبعد ذلك، يكيِّفون أنفسهم للّقب".[٣٤] تلك العلامات التي لا نستطيع أن نقلّدها، نحن نبجّلها ونعبدها. "وهكذا، من الضّروري للحياة المسيحية أن تشرح كل المصطلحات التفسيرية التي تُعبّر عن المسيح، بعضها من خلال التقليد، والبعض الآخر عن طريق العبادة، ليكون إنسان الله كاملًا، كما يقول الرسول".[٣٥]

وفي معرض شرحه للموضوع، يُحذّر غريغوري من أولئك المسيحيين، الّذين مازالت لهم "طبيعة مزدوجة"، قنطور (وهو حيوان خرافي نصفه فرس ونصفه إنسان) مُكوّن من المنطق والعاطفة،

في النهاية، يعلّق غريغوري بالقدوم إلى صورة المسيح كصخرة روحيّة:

> إنّ الأخذ من المسيح، كما من جدول ماء نقي وغير فاسد، يجعل المرء يرى في أفكاره ذلك التشابه للنموذج الأصلي تمامًا كالشبه بين المياه في جدول جارٍ، ومياه مأخوذة منه وموضوعة في جرّة فخّارية. لأنّ الطهارة في المسيح، والطهارة التي تُرى في ذلك الشخص المرتبط بالمسيح هي نفسها، الأوّل هو الجدول، والآخر هو مأخوذ منه.(٤٥)

"لذا، فهذا هو الكمال في الحياة المسيحية،... مشاركة نفس الشخص وكلامه ونشاطاته بكلّ الألقاب التي للمسيح، وهكذا فالقداسة الكاملة بحسب طرح بولس، تشمل الشخص بأكمله (كلّ الجسد والنفس والروح)، أنْ يكون محروسًا ضدّ الاختلاط مع الشرّ".(٤٦)

الحياة المسيحية التي تُكمَّل، هي الحياة التي ينتقل فيها المؤمن من "مجدٍ إلى مجد، فتصبح أعظم بازدياد يومي، ويكمّله بقوّة، ولا يصل أبدًا بسرعة لحدود الكمال. فإذًا، هذا هو الكمال الحقيقي، ألّا تتوقّف عن النموّ نحو الأفضل وعدم وضع أيّ حدٍّ للكمال".(٤٧)

نُميّز أنّ المسيح هو "تقديسنا"، دعونا نبرهن بحياتنا أنّنا نقف... بقوّة تقديسه".(٤١)

إنّ أفكارًا مثل هذه تُعتبَر نموذجًا لتعليم غريغوري عن الكمال. بالنسبة له، الحياة المقدّسة هي الحياة الّتي يكون فيها الجسد، "الّذي هو عدوّ لله وغير خاضع لناموسه"، يصبح مُماتًا بتكريسه "ذبيحة حيّة مقدّسة مرضية لله، "والذهن تمّ تغييره" ليختبر إرادة الله الصالحة المرضية والمقبولة الكاملة".(٤٢) لهذا، فالحياة الكاملة هي "أنْ تعيش في الجسد، ولكن ليس بحسب الجسد".(٤٣)

على الرغم من أنّ موضوع غريغوري هو في التشبّه بالمسيح، فهو يرى بوضوح الحقّ الأعمق *للمشاركة* في المسيح. ويصبح هذا واضحًا ببيانه المسيح كرأس للكنيسة (حيث تعيش "الأعضاء المختلفة بشركة مع الرأس") وفي توضيحه عن المسيح كَبِكْر كلّ خليقة (الذي "شكّل حياتنا"). بالارتباط مع الصورة الأخيرة، يذكّرنا غريغوري أنّنا نحن الّذين "وُلِدْنا، من الماء والروح"، وبذا نُصبح "إخوة للربّ"، يجب علينا أنْ نعكس صورة أخينا الأكبر في حياتنا اليومية. ولكن ماذا تعلّمنا من الآيات المقدّسة عن ماهيّة حياته (المسيح)؟

ما قلناه عدة مرات، أنّه، (لم يعرف خطيّة ولا وُجِد في فمه غشّ). لهذا السبب إذا كنّا سنسلك كإخوة لذاك الذي أعطانا الميلاد، فحياتنا التي بلا خطيّة ستكون عربون محبّة لعلاقتنا به".(٤٤)

الفصل السادس

أوغسطين

تساءل البعض في ما إذا كان يجب أنْ يُعَدّ أوغسطين من بين المحامين عن عقيدة الكمال المسيحي. في الواقع، أنّ أصدقاء ومعارضوا هذا الحق يمكنهم الإقتباس منه.

يضع وايلي أوغسطين في قائمة بين شهود العقيدة. وكدليل، يذكر عبارة أوغسطين التي تقول "لا أحد يجرؤ على قول أنّ الله لا يقدر أن يقضي على الخطيّة الأصليّة في الأعضاء، وأنْ يجعل شخصه حاضرًا بوضوح للنفس، لدرجة أنْ تكون الطبيعة القديمة مُبطلة بالكامل، فالحياة يجب أن تسير على الأرض من تحت، كما ستسير في السماء من فوق، في التأمّل الروحي الأبدي في شخص الله".[1] وفي الذكرى المئوية الثالثة لفرانسوا دي سال (Francois de Sales)، صاغ البابا بيوس الحادي عشر منشورًا بابويًا عن القداسة جاء فيه: القدّيس أوغسطين يضع القضيّة في نصابها الصحيح عندما يقول: "الله لم يأمر بالمستحيل، ولكنّه، في إعطاء الوصيّة، يحثّنا أنْ ننجز ما نقدر على إنجازه حسب طاقتنا، وأنْ نطلب معونة لننجز ما هو أكثر من حدود طاقتنا".[2]

هذا هو خلافنا، إنَّ مِثل هذا الفهم للخطيّة الأصليّة يعكس اتّجاهًا يونانيًا، وهو التفكير أنَّ الجسد خاطئ بذاته، وفكرة مثل تلك غريبة عن التعليم الكتابي. بناءً على ما سبق، فإنّ التّجربة نفسها تعني خطيّة. أيُّ عقيدة للخلاص، تربط الخطيّة بشكل وثيق مع رغبات الجسد، يجب أنْ تتردّد مع أوغسطين في قبول إمكانية قداسة القلب إلى أن يأتي الموت.

ومن هنا، نحن نرى أهميّة أوغسطين في دراسة الكمال المسيحي. القضايا التي برزت من خلال لاهوته، ما تزال تخيِّم على عقيدة الخلاص. أوْرَثَتْ العقيدة الأوغسطينية، عن الخطيّة الأصليّة، الكنيسة ما يُسمّى "نظرية الطبيعتَيْن"، وهي تعليم أنّنا نُعْطى بنعمة الله طبيعة جديدة مقدّسة وبارَّة، وهي أمر طارئ مُضاف للطبيعة القديمة الباقية. وهكذا فالمؤمن المولود ثانية لديه طبيعتَيْن، طبيعة جديدة بلا خطيّة، وطبيعة أخرى قديمة فاسدة. وتتعايش هاتان الطبيعتان مع بعضهما حتّى الموت. فالتقديس بذلك، عملية تدريجية تنتظر الموت لاكتمالها. وما لم تُحَلّ خيوط هذه المشكلة، فمن المستحيل وجود عقيدة كتابية للكمال. لا يقدر المرء الجادّ في رغبته في التفكير بالموضوع، أن يتجنّب الأسئلة التي يُثيرها أوغسطين من خلال مفهومه للخطيّة الأصليّة.

من جهة أخرى، يكتب أوغسطين في كتابه بعنوان انسحابات (*Retaractions*)، "لا يقدر أحد، ذو امتياز في هذه الحياة، ألّا يكون في أعضائه ناموسًا يُحارب ناموس ذهنه".[٣] وقد شمل الرسل بهذا التصريح. ويقول: فقط يسوع وأمّه كانا بدون خطيّة.[٤]

لماذا هذا التضارب أو التناقض؟ لسبب واحد وهو الضغط الذي حدث لدى أوغسطين والناشئ عن صراعه مع بلاجيوس، والذي رفض أي فكرة بخصوص الخطيّة الأصلية، مما قاد أوغسطين لإنكار أي إمكانية لحياة بدون خطيّة. وتحت ضغط هذه المناظرة، أظهر أوغسطين موقفًا متشدّدًا أدّى به إلى معارضة آراء كان قد دافع عنها في أماكن أخرى.

وأيضًا هناك سبب أعمق لارتباكه. تُظهر عقيدة أوغسطين في الخطيّة الأصليّة، بالرغم من جذورها الكتابية الواضحة، دليلًا جليًّا واضحًا على التأثيرات اليونانية، والتي شوّهت التعليم الكتابي. والنتيجة، عقيدة فيها فكرتيْن مختلفتيْن كليًّا للخطيّة، متداخلتَيْن ومشوّشتَيْن معًا.

بالنسبة لأوغسطين، جلب السقوط الشهوة والرغبة الملحّة للخطيّة، والتي وصفها بحيوية على أنّها الرغبة الجنسية. إذا كان ما يدعوه يعقوب "شهوة" (يع١: ١٤-١٥) هو الخطيّة الأصلية أو الفساد، فإنّ عقيدة التقديس الكامل ضلالة وتضليل.

أعطِ ما أوصيت، وأوصي إرادتك" (١٠: ٢٩). "سأحبك، يا رب، وأشكرك، وأعترف باسمك، لأنك خلّصتني من أفعالي الشريرة والمشينة تلك. أنا أنسب ذاك لنعمتك، ورحمتك، لأنك أذبت الخطيّة عني بعيدًا كما لو كانت جليدًا" (٢: ٧). ويلاحظ ووكر (Walker): "هنا أعمق إشارة تسمعها الكنيسة حول التكريس الشخصي منذ أيام بولس، ومفهوم الدّيانة كعلاقة حيوية مع الله الحي، كان واحدًا من المفاهيم التي كان تأثيرها دائمًا، ومع أنها تكرّرت عدّة مرات لكنها فُهِمَت جزئيًا".(٥)

ب. عقيدة أوغسطين في الكمال

إنّ دراسة لاهوت أغسطين تُظهر أنّه لاهوت كماليّ (Perfectionist) بشكل أساسي. فكرته الأساسية البارزة هي الخير الأسمى، والّتي من الممكن، إلى حدّ ما، أن يتمتّع بها المرء ويدركها في هذه الحياة.

وما هو الخير الأسمى، أي مباركة الإنسان النهائية؟ إنّه الله. أرواحنا لن ترتاح حتى تجد سكونها في شخص الله. في الله، وفيه وحده، يوجد الملء الحقيقي للإنسان.

يجد ذهن الإنسان في الله هدفه واكتماله. ويتذكّر كيف اقتيدَ هو نفسه – أي أوغسطين– للمسيح، عن طريق دراسة الفلسفة ومحبّة الحقّ، حيث يقول، "يأتي إلينا النّصْح الداخلي، الذي يعمل فينا كثيرًا

أ. مكانة أوغسطين في الكنيسة

ليس من العدل لأوغسطين أن نقتصر تقييمنا للاهوته على هذه المفاهيم السلبية لتعليمه في ما يخصّ الخطيّة الأصليّة. كقديس ولاهوتي، يقف أوغسطين في صفّ بولس ولوثر وكالفن ووسلي. يقع معظم تأثيره في تقواه الداخلية.

محبّة أوغسطين لله تظهر في كلّ ما كتب، ولكنّها تجد صياغتها الأكثر وضوحًا في كتابه المتميّز "اعترافات". لا يوجد سيرة ذاتية روحيّة أخرى مشابهة، كُتِبَت في بداية الكنيسة ، وما تزال باقية، ربما، كأروع اختبار مسيحي كلاسيكي. في صفحته الأولى، نجد المفتاح لعقيدة أوغسطين الإيجابية في الكمال المسيحي: "أنت صنعتنا لنفسك، ونفوسنا لن تجد راحة حتى تسكن فيك". وهذه هي عقيدته في *الخير الأسمى* (*Summum Bonum*): النهاية الحقيقية للإنسان- إنجازه الفائق وفرحه الأسمى- هي في الله.

"جيّد بالنسبة لي أن أتعلّق بالله، لأنّي إن لم أبقَ في الله، فلن أبقى في نفسي؛ لكنّ الله، باقيًا في نفسه، يُجدّد كلّ الأشياء. أنت الرب إلهي، أنت لا تقف منتظرًا صلاحي" (٧: ١١). "بحثت عن طريق لاكتساب القوّة الكافية لأتمتّع بك، ولم أجدها حتى عانقت بسرور وأحببت ذلك 'الوسيط بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح'، 'الذي هو فوق الكلّ، مبارك الله للأبد'، يدعوني" (٧: ١٨). "كلّ رجائي فقط في رحمتك العظيمة الغنية الفائقة الحدود.

ماذا يوجد أفضل من هذه البركة! ماذا يوجد أسعد من تلك السعادة! أن تعيش لله، أنتعيش في الله الذي هو ينبوع الحياة، وبنوره نرى نورًا. والربّ نفسه يتحدّث عن هذه الحياة بهذه الكلمات: *وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك، أنت الإله الحقّ، ويسوع المسيح الذي أرسلته...* يجب أن نكون مثله ونشابهه. هذه المشابهة تبدأ من الآن ويعاد تشكيلها فينا،بينما يتجدّد الإنسان الداخلي من يوم إلى يوم، وِفقًا لصورة الله الذي خلقه.(٧)

وللسّبب نفسه، "إنّ بؤس وتعاسة الإنسان هما ألا يكون مع الله، الذي بدونه، لا يقدر أن يكون. وبدون أدنى شك، لن يكون الإنسان بدون الله الذي هو فيه؛ وأيضًا إذا لم يتذكّر الإنسان الله ويفهمه ويحبّه، فهو ليس مع الله".(٨)

هذه التعاسة هي نتيجة الخطيّة، وهذا المانع عن "المشاركة في الكلمة" تتمّ إزالته بمحبّة الله التي انسكبت في كلّ أرجاء قلوبنا بالروح القدس. ولذلك، فالمحبّة عنصر أساسي في الخير الأسمى. إنّ معرفة الله ومحبّته ترتبطان معًا بشكل أساسي في مفهوم أوغسطين للخير الأسمى. "هذه المحبّة المَسوقة بالروح القدس، تقود إلى الابن، أي تقود إلى حكمة الله، والتي بواسطتها يُعرَف الله الآب... إنّها المحبّة التي تسأل... المحبّة التي تطلب... المحبّة التي تقرع... المحبّة التي تُظهر محبّة أيضًا، التي تعطي استمرارية في ذاك الذي يُكشَف".(٩) وعلاوة على ذلك، فهذه المحبّة، والتي هي الخير الأسمى، إجتماعية.

لنتذكّر الله، ونبحث عنه، ونتعطّش إليه (ذهب كلّ الكره والمقت)، من مصدر الحق الفعلي والحقيقي". في جوهر فكر أوغسطين الفعلي، توجد قناعة أنّ معرفتنا لله بالشركة الواعية المدركة، هي تاج الحياة وهدفها. ويتحدّث في رسالة، عن أولئك الذين تكون لديهم محبّة عقليّة مجرّدة لله، دون أن يكون الله ساكنًا فيهم، وعن آخرين يسكن الله فيهم، دون معرفتهم به. "ولكن المبارَكين هم أولئك الذين يسكن الله فيهم، وهم يعرفون ذلك. إنّها المعرفة الأكثر امتلاءً، والأحقّ، والأسعد".(٦)

ولكن، عرف أوغسطين المشكلة الأخلاقية التي تهاجم الإنسان الخاطئ من كلّ الجهات. وبرغم أنّه خُلق من أجل معرفة الله، فقد سقط الإنسان بعيدًا عن الله، وهو الآن العبد التعيس للخطيّة. وقبل أن يكون قادرًا على أن يحبّ الله ويخدمه، يجب أن تُحرَّر أوّلًا إرادته المستعبدة. وهذا ممكن فقط بنعمة المسيح. وبعد ذلك، وفقط بعد ذلك، يستطيع الإنسان أن يستمتع بمعرفة الله وهي الخلاص. ولهذا السبب، بالنسبة لأغسطين، الحرّية المسيحيّة تعني الحرية من الخطيّة، من أجل معرفة الله وخدمته.

وبهذا، فالخير الأسمى هو أن نستمتع بالله، الذي يكتب ناموسه على ألواح قلوبنا، والذي بحضوره تنسكب، في كلّ أرجاء قلوبنا، محبّة الله التي هي تتميم الناموس. هذه هي الحرّية التي وعدت بها بشارة المسيح.

به على الأرض الرجال الودودون. "يُمكن أن تتحقق هذه الوعود في هذه الحياة، تمامًا كما نؤمن بأنّها تحقّقت كما في حالة الرسل".[١٣]

لكن، كما ذكرنا، لقد أنكر أوغسطين هذا الموقف وتراجع عنه بعد نقاشه مع بيلاجيوس.

نحن لا نعتقد أنّ الرسل كانوا، وَهُم على الأرض، مُستَثنين من صراع الجسد ضدّ الروح. لكن نؤمن أنّ تلك الوعود يمكن أن تتحقّق هنا تمامًا كما تحقّقت في السابق في الرسل، كما نؤمن، نقول هذا بمقياس الكمال البشري حيث يكون الكمال مُمْكِنًا في هذه الحياة.... والمقياس هو عن الكمال الذي يلائم هذه الحياة، وليست كتلك الوعود والتي ستتمّ في ذلك اليوم يوم السّلام الكامل عندما سيقال: أين شوكتك يا موت؟ *Ubi est mors contentio tua?*.[١٤]

فلذلك يوجد كمال نسبيّ في هذه الحياة. من خلال المسيح ومحبّة الله المنسكبة في داخلنا بالروح القدس، نحن نتمتّع بمعرفة الله ونختبر شركة مغيِّرة معه، نتغيّر تدريجيًّا إلى صورة مشابهته – أي المسيح – الذي هو صورة الله. ولكن الشهوة ما تزال ملتصقة بأجسادنا، فالحرية الكاملة من الخطيّة مستحيلة. "لا يقدر أحد في هذه الحياة أن يكون متمتّعًا بامتياز ألّا يكون في أعضائه ناموسًا يحارب ناموس ذهنه". يبقى الصراع في رومية ٧ هو المستوى الأعلى في الاختبار المسيحي.

أنْ تحبّ نفسك بطريقة تقود إلى الخلاص عندما تحب الله أكثر من نفسك. وما ترمي أو تطمح إليه في نفسك بعد ذلك، هو ما يجب أن تطمح إليه لقريبك، بمعنى أن يحبّ الله بعاطفة كاملة. لأنك لن تحبّه كنفسك ما لم تجذبه إلى ذلك الخير الذي تسعى أنت نفسك إليه... من هذه الوصيّة تولد الواجبات نحو المجتمع الإنساني.(١٠)

وفي الصفحات الختامية لتحفة أوغسطين "*مدينة الله*" يشدّد على محبّة الله الاجتماعية. "كيف يمكن لمدينة الله أن تبدأ أو أن تتطوّر أو أن تبلغ قدرها المناسب، إذا لم تكن حياة القديسين حياة اجتماعية؟"(١١) حتّى في الحياة الأخرى هناك درجات واختلافات، ولكن لا يوجد حسد، ولا يوجد عدم ارتياح، لأنّ الله "سيكون قمّة أو خاتمة رغباتنا، الذي سيُرى بلا نهاية، وسيُحَبّ بلا شبع، وسيسبَّح بلا كَلَل أو مَلَل. هذه المحبّة غير المُتحفّظة، هذه الوظيفة، ستكون بالتأكيد مثل الحياة الأبدية نفسها، عامة للجميع".(١٢)

هل هذا الكمال مُتاح للناس المائِتين؟ في أبحاثه السابقة عن الموعظة على الجبل، عرّف أوغسطين صانعي السلام الذين يدعون أبناء الله، على أنّهم أولئك الذين تمتّعوا بالسلام في أنفسهم، والذين تسير كلّ الأمور في نفوسهم بتآلف وانسجام. العواطف خاضعة للمنطق. وذاك - أي الفكر والمنطق - الذي هو الأعلى في الإنسان يسيطر بلا مقاومة على جسده ورغباته. والعقل نفسه خاضع للحقّ الذي هو ابن الله الوحيد. هذا هو السلام الذي يتمتّع

وبما أنّ هذا الصراع يستمرّ في حياة أنبل القديسين حتى يتركوا بالموت "جسد الخطية والموت"، فالتّقديس الكامل مستحيل في هذه الحياة. الشّهوانية هي مقوّم أساسي لبشريّتنا السّاقطة، ولا يُمكن أنْ تُشفى إلا بالقيامة فقط.

هذا الميل لمساواة الخطيّة بالرغبة الجسدية ينبع من الفكرة الوثنية أنّ المادة شرّ بذاتها. إنّها جزء من فلسفة أوغسطين قبل المسيحيّة والتي لم يستطع أوغسطين التغلّب عليها. وانتشرت فكرة أنّ العالم المادي شرّ في العصور القديمة. فهي لم تشجّع فكرة العذراوية والعزوبية كالتعبير الحقيقي عن الكمال فحسب، ولكنّها جعلت عقيدة الخطيّة الأصلية مظلمة بلا داعٍ. وجدت الكنيسة أنّه من شبه المستحيل أن تخلِّص نفسها من الشعور أنّ الشهوانية الجنسية مرادفة عمليًا للرغبة الجنسية.

لا يتحدّث العهد الجديد عن مطابقة مثل تلك بين الطبيعة البشرية والخطية. بما أنّ أجسادنا وشهواتها تشكِّل أحد مصادر التّجربة (يع١: ١٥-١٦)، فإنّ هذه الأجساد يجب "أن تُقمَع" إذا أردنا أن نربح الجعالة (١كو٩: ٢٥-٢٧؛ رو٨: ١٣) وأن نتحرّر من الخطيّة (رو٦: ٦-٧)، يجب أن تُسلَّم كآلات لله لأغراض بِرّه (رو٦: ١٢-١٣، رو١٢: ١)، يجب أيضًا أن تُقدَّس (١تسا٥: ٢٣)، وبذلك يُمكن أن نمجّد الله بها (١كو٦: ١٩-٢٠). أعضاء أجسادنا التي

ج- التقييم

يَكمُن الخلل القاتل في تعليم أوغسطين عن الكمال في مطابقته السهلة بين الخطية الأصلية والشهوة الجنسية. "هناك شهوات كثيرة ومتنوّعة، لدى بعضها أسماء من ذاتها، بينما بعضها الآخر لا يحمل اسمًا". يكتب أوغسطين في كتابه "مدينة الله". "عندما لا يُحدَّد الموضوع، فالكلمة التي تتبادر إلى الذهن عادة، المتعة الشهوانية للأعضاء التناسلية".(١٥)

على الرغم من أنّ الله خلق الذكر والأنثى وأمرهما أن يكثرا ويَملئا الأرض، إلا أنّ آدم وحواء لم يعرفا في حالتهما غير السّاقطة – أي قبل السقوط – متعة الرغبة الجنسية. لقد ظلّا في حالة عدم الخطية، "زرع الرجل البذرة، واستقبلتها المرأة، وكما تقتضي الحاجة، تتحرّك أعضاء التناسل بالإرادة وليس لأنها مستثارة بالشهوة".(١٦)

كان أوغسطين كتابيًا في تعليمه أنّ الكبرياء، أو *hybris* (أي التّوق الشّديد للنشاط العضوي المفرط) كان "بداية الخطية". ويعني هذا أنَّ الخطية بشكل أساسي هي علاقة فاسدة تجاه الله، تغتصب فيها الأنا أو الذات الأنانية عرش الحياة. ولكن أوغسطين علّم أنّ الشهوة، والتي مالَ لمطابقتها مع العاطفة الجسدية، كانت من العواقب الجزائية للخطيّة الأصلية. وعلامة بشريتنا الساقطة هي العاطفة التي هي في حرب مع العقل. بهذه الطريقة فَهِمَ أوغسطين الصراع في رومية ٧، "على أنّه الصراع بين الإرادة والشهوة".(١٧)

إلى ما تحت الناموس من خلال ثقته بمصادره الأخلاقية بدلًا من أن يثق بغِنى نعمة الله في المسيح التي لا تنضب. بعدما ابتدأ بالروح، يحاول أن يبلغ الكمال بجهوده (غلا٣: ١-٣).[٢٠]

كإنسان في المسيح "أعلم أنّه ليس ساكنٌ فيَّ، أي في جسدي، شيء صالح"(رو٧: ١٨). لكن من خلال المسيح، أقبل الروح المقدِّس والمُحيي، ويقول لي الله عندها: "أمّا أنتم فلستم في الجسد بل في الرّوح، إن كان روح الله ساكنًا فيكم" (رو٨:٩). المستوى النهائي للاختبار المسيحي ليس الصراع في رومية ٧ ولكن الحرية والانتصار في رومية ٨. وفي إنكاره لإمكانية إدراك مثل هذه الحرية من الخطيّة، ينكر أوغسطين بشارة بولس وكلّ ما تتضمّنه عقيدته عن الحرية المسيحية بالنّعمة.

كانت يومًا ما أعضاءً للخطيّة، صارت حاليًا "أعضاء المسيح" (١كو٦: ١٥) بواسطة عمل الله الفدائي! هذه هي نظرة العهد الجديد السّامية للجسم.

ينمّ الموقف الأوغسطيني عن تخبّط بين المصطلحات البولسية جسم (*soma*)، وجسد (*sarx*). جالبًا في تفسيره لرومية ٧ وجهة النظر اليونانية أنّ الجزء المادي من الإنسان فطري وشرّير غير قابل للشفاء، بعكس النفس والروح، فسَّر أوغسطين الصراع في رومية ٧ على أنّه نزاع، كما هو مألوف في الأخلاق اليونانية، بين منطق الإنسان ورغباته. ولدى جون وسلي دعم من أفضل المفسّرين الحديثين في إصراره على أنّ الجسد (*sarx*) في رومية ٧ "يدلّ على كامل الإنسان بطبيعته"، وليس الفجور والانغماس بالشهوات بذاته. وبدلًا من أن يكون رومية ٧ "نزاعًا بين الإرادة والشهوة"، فإنّه الوجود عديم الجدوى لأي شخص يحاول أن يحقّق متطلّبات الناموس الإلهي دون معرفة قوّة المسيح.

المفتاح لفهم رومية ٧ هو عبارة *autos ego* في عدد ٢٥. "*Autos ego*، (أنا نفسي)، يقول بولس، أنا منقسم وعديم القوة: "بذهني أخدم ناموس الله، وبالجسد ناموس الخطية".[١٩] الحياة في الجسد كما صُوّرت بطريقة دراماتيكية أو تمثيلية في رومية ٧، لا تقصد أن تصوِّر الاختبار المسيحي. إنّها الحياة تحت الناموس. المؤمن الذي يحارب معركة رومية ٧ مايزال يفعل ذلك لأنّه تراجع

الفصل السابع

التعليم الكاثوليكي

سادت فكرة أوغسطين عن الكمال، مع تغييرات في التفاصيل فقط، فِكْر الكنيسة الغربية خلال العصور الوسطى. لذلك ليس من الضروري أن نراجع الكُتّاب العديدين لهذه الحقبة الزمنية الطويلة. ولكن، لا بدّ من ذكر اسمَيْن هما- ديونيسيوس الأريوباغي (Dionysius the Areopagite)، وبرنارد كليرفو (Bernard of Clairvaux).

آمن ديونيسيوس مع أوغسطين أنّ كمال الإنسان يكمن في أن يكون متّحِدًا مع الله. لكن بالنسبة لهذا المسيحي النيو أفلاطوني (الأفلاطوني المحدَّث)، فالله لا يُسْبَر غوره، وعلى المرء حتّى يكون كاملًا، أن يقتحم "ظلمة المجهول" ما وراء كلّ الفهم. من الصّعب أن يكون انتصار الفلسفة على الإعلان الإلهي أكثر كمالًا. "ومع ذلك"، كما يقول فلو، "بسبب تلمذة يوهانس سكوتس إيريجينا (Johannes Scotus Erigena) وشروحات هيوجو (Hugo) للقديس فكتور، وتوما الإكويني، وألبرتوس ماجنوس (Albertus Magnus)، فإنّ كتاباته- أي كتابات ديونيسيوس- وصلت إلى

رغم ذلك فأنا أدعوها جسديّة غير روحيّة، بالمقارنة مع المحبّة التي لا تأخذ بعين الاعتبار كلمة الله في الجسد، ككلمة الله الذي هو الحكمة والعدالة والحقّ والقداسة.(٣)

وفي كتاب آخر، يعلن برنارد أنّ النّوع الأسمى للمحبّة، لا يُمكن أن يُدرَك في هذه الحياة. وقد وضع مخطّطًا لأربع درجات من المحبّة. الأولى هي المحبّة الطبيعيّة التي يكنّها المرء لنفسه. الثانية هي محبّة الله على عطاياه الممنوحة. والثالثة هي محبّة الله على صلاحه، دون استثناء فكر صلاحه لنا.

يبقى المرء في الدرجة الثالثة فترة طويلة من الزمن. ولا أعرف فيما إذا قد وصل أي إنسان بشكل كامل إلى الدرجة الرابعة، والتي فيها يحبّ المرء نفسه من أجل الله. إذا كان هناك من اختبر هذه الدرجة فليتكلّم؛ بالنسبة لي، أعترف، بأنه يظهر من المستحيل إدراكها.(٤)

بالتأكيد يوجد خطأ بهذا الفكر المليء بالعيوب، حيث لا يمكن الوصول إلى المحبة المكمّلة، ولا للحظة واحدة حتى بنعمة الله. ومع ذلك، فالنبرة القوية لتكريس المسيح، والموجودة في شرحه لسفر نشيد الأنشاد، أعطت برنارد مكانًا ثابتًا ودائمًا في أدب الكنيسة التعبّدي.

أ. توما الإكويني

أُطلق على توما الإكويني (١٢٢٥؟-٧٤) لقب "طبيب الكنيسة الملائكي"(The Angelic Doctor). ويُعلّق ووكر أنّه: "لم يتوقّف تأثيره في الأوساط الكاثوليكية".

موقع ذي تأثير فوق العادة، كما واقتُبِسَت سلطته من قِبَلِ كتَّاب العصور الوسطى كسلطة قاطعة ونهائية".[١]

نجد لدى برنارد كليرفو إشارة دافئة وأكثر شخصية للتقوى الإنجيلية تُقَدَّم في العبادة الكاثوليكية. في كتاباته، وبالتحديد في تفسيره لسفر نشيد الأنشاد، يعود يسوع المسيح نفسه إلى مركز العبادة المسيحية. ويقول في تفسيره لنشيد الأنشاد:

> عندما أتفوّه باسم يسوع، يحضر في ذهني رجل وديع ومتواضع القلب، لطيف ورابط الجأش، طاهر عفيف ورحوم، جليّ الصلاح والقداسة، وأرى ذلك الرجل بتأنّه الله كلّي القدرة الذي سيشفيني بمِثاله ويقوّيني بمعونته.[٢]

بالنسبة لبرنارد، يصبح تقليد المسيح جوهر العبادة. وبينما تعلّمنا حكمته، وتحرِّكنا محبّته، نعلم أنّه قريب. ولكن فوق كلّ شيء، علينا أن نتمثل بتواضعه.

ولكن، تصيبنا خيبة أمل، حينما نجد أنّه عندما يصف برنارد المستوى الأعلى للبلوغ في المسيحيّة في هذه الحياة، فإنّه يهمل ويتجاهل الربّ المتجسّد.

> إنّ المحبّة القلبيّة، بطريقة ما، شهوانية جسدية، فإنّها تحرّك بشكل رئيسي قلب الإنسان باتّجاه جسد المسيح، وما قاله وفعله المسيح في الجسد. إنَّ الصورة المقدّسة للإله- الإنسان، سواءً أكان مولودًا، أو رضيعًا، أو وهو يعلِّم، أو يموت، أو يقوم، تكون حاضرة للمرء وهو يصلّي، وتحرّك النفس إلى محبّة الفضيلة.... لكن بالرغم من أنّ مثل هذا التكريس لجسد المسيح هو هبة، هبة عظيمة من الروح القدس،

هذا هو الخط العريض لعقيدة توما الإكويني. وتدين المناقشة القادمة لتحليل نيوتن فلو الرائع لتعليم توما عن الكمال.[٦] يلخّص د. فلو وجهة نظر توما الإكويني تحت أربع نقاط رئيسيّة: ١- حياة التأمّل أكثر سموًّا من الحياة الفعلية؛ ٢- يكمن الكمال المسيحي في المحبّة، ويمكن إدراكه في هذه الحياة؛ ٣- يجب أن نحبّ الله لشخصه؛ و ٤- الكمال النهائي يُمكن بلوغه فقط في الحياة الأخرى.

١- حياة التأمّل الروحيّة أكثر سموًّا من الحياة الفعلية

لنفهم فِكر الإكويني هنا، علينا أن نقدِّر بشكل كامل قول المسيح، "واختارت مريم النصيب الصالح" (لو ١٠: ٤٢). بدون ذلك التعاطف الوجداني، لا يمكن أن يكون هناك أي تقدير للكاثوليكية أو لتوما الإكويني. يعتمد القدّيسون من كلّ الطوائف على الصّلاة، شركتهم الداخلية مع الله، كمصدر لقوّتهم. وعلاوةً على ذلك، بينما يمضي هذا العالم، فإنّ حياة الشركة لن تعرف الموت. تشكّل هذه الافتراضات المُسْبَقة العامّة في المسيحية موقف توما الإكويني.

ومع ذلك، فإنّه من غير المنصف أن نقول أنّه ينتقص من الحياة الفعلية. ويقول مُقتبِسًا لجريجوري، عظيمة هي استحقاقات الحياة الفعلية. تتعلّق جميع الفضائل الأخلاقية بالحياة الفعلية. بمثل هذه الأفعال نعمل الخير لقريبنا، ونُظهر شيئًا من المحبّة السماوية.

"وبإعلان البابا ليو الثاني عشر في عام ١٨٧٩، فإنّ أعماله هي أساس الإرشاد اللاهوتي في الوقت الحاضر".(٥)

كان الإكويني من بين جميع اللاهوتيين، مأخوذًا بفِكر كمال الإنسان المطلق. وإحدى قناعاته الأساسية الراسخة، أنّ جوهر وقوام الإنسان يحتوي على وعد ضِمني لنهايته الصحيحة، وهي رؤية الله والتمتّع به. كما خُلِق في الأصل، امتلك الإنسان، بالإضافة إلى قِواه الطبيعية، عطيّة مُضافة، مكّنته مِنْ أنْ يسعى لذاك الخير الأسمى وأن يمارس فضائل الإيمان والرجاء والمحبّة. بالخطيّة، فَقَدَ آدم عطيّة النعمة السّماوية وأفسد قِواه الطبيعية.

ويستبقي الإنسان القوّة ليمارس الفضائل الطبيعية- التعقّل، العدالة، الشجاعة، ضبط النفس؛ ولكن هذه، مع أنّها تجلب مِقدارًا مُعيّنًا من السعادة، فهي غير كافية لِتُمكِّن المرء من بلوغ نهايته الصحيحة، وهي رؤية الله. فقط النّعمة الحرّة وغير المستحَقة تقدر أن تستعيد الإنسان إلى رضى الله، وتُمكّنه من ممارسة الفضائل المسيحية. وليس هناك أي فعل يقوم به الإنسان لينال تلك النعمة؛ لكن يحصل الإنسان على الفداء، فإنّه حينئذ يمتلك القوّة بالنعمة السماوية، ليُتمّم ليس فقط وصايا الله الأخلاقية، ولكن أيضًا نصائح كلمة الله للكمال. بهذه النعمة يمكنه أن يتمتّع بالمحبّة المكمَّلة الآن، ويختبر رؤية الله المبهجة في الحياة الآتية.

لنحبّه أكثر. "هذا هو الكمال النهائي لحياة التأمّل، لا أن يُرى الحقّ الإلهي فقط بل أن يُحَبَّ أيضًا".

٢- يكمن الكمال المسيحي في المحبة.

في سؤال رقم ١٨٤ من بحثه الشامل (*Summa*)، يتابع الإكويني ليقول أنّ الكمال في الحياة المسيحيّة يكمن بشكل رئيسي في المحبّة. فبالمحبة العمليةّ نحو القريب، نحن نعبِّر عن الكمال الذي هو ممكن في هذه الحياة؛ لكن في اتّجاهها نحو الله، فهي المحبّة التي توحّدنا بالله، الذي هو غايتنا الرئيسية. ويشير توما في عقيدته عن حالة الكمال، إلى أنّ هناك ثلاث مستويات في الحياة الروحية، تبلغ ذروتها في حالة الكمال، والتي توجَّه نحوها المستويات الأدنى. كمال الإنسان النهائي، يكون في التأمل الروحي الأبدي في الله، الذي هو الثمر النهائي للمحبة.

المحبة هي رباط الكمال (كو٣: ١٤) بما أنّها تربط الفضائل الأخرى في وحدة كاملة. هذه المحبّة ليست طبيعية، إنّها من الله. *Caritas*(كلمة كان يستخدمها توما الإكويني) وتعني محبّة الله ومحبّة القريبين في الله. إنّها بشكل أولي ومحدّد محبّة تخصّ الله، وهو ينقلها للإنسان بانسكاب الروح القدس. الروح القدس الذي يسكن في المجتمع المسيحي، هو نفس الروح الذي به يحبّ الآبُ الابنَ، والابنُ الآبَ.

لذلك، بدون تلك المحبّة، لن ننال الكمال. الحياة الفعلية أساسية بمقياس معيّن لبلوغ المحبّة الكاملة.

حياة المحبّة الفعلية، وحياة التأمّل الروحية بالصّلاة، مكمِّلتان لبعضهما البعض بمعنى آخر. ويعلّق الإكويني، في التعليم والوعظ خاصّة، أنّ العمل النشيط يتدفّق من الحياة الممتلئة بالتأمّل الروحي، كما يتدفّق النهر من البحيرة التي هي مصدره. وهكذا هناك حركة مزدوجة لحياة الكمال كما هي مُعاشة على الأرض. "يصعد الفكر لحياة التأمل الروحية وينتقل بعدها عائدًا إلى الحياة الفعلية لنشر ثمار معرفة الله".(٧)

ومع ذلك، فحياة التأمّل أسمى من الحياة الفعلية. فَعَنْ طريق المعرفة والمحبّة يصل المرء إلى الله وبذلك يختبر المِلء الحقيقي.

في واحدة من أكثر المقالات تحريكًا للمشاعر في مجلّده *Summa Theologica*، يتساءل الإكويني فيما إذا كانت هناك لذة في التأمل. ويجيب أنّه توجد لذة بطريقتين. أولًا، هناك لذة في عملية التأمّل ذاتها، لأنّنا كمخلوقات عاقلة، صُنِعنا لنتلذّذ بمعرفة الحقّ. ثانيًا، هناك لذة في حياة التأمّل، ليس لغاية التأمّل بذاته فحسب، بل أيضًا بسبب رؤية المحبّة الإلهية التي يجلبها التأمّل. عندما نرى الشخص الذي نحبّه كثيرًا جدًّا، فإنّ مشاعرنا تلتهب

بشكل كلّي نحو الله. المحبّة ممكنة من دون هذا الكمال، مثلًا في أولئك المبتدئين وفي أولئك الخبراء الحاذقين.

الكمال الثالث هو في قضية "الملاءمة مع الهدف"، مطابقة الإنسان مع الله الذي هو غاية الإنسان الصحيحة. المقالة أعلاه مقتبسة من *Summa* (سؤال ١٨٤ أ. ٢).

ويعطي الإكويني شرحًا مبسّطًا في فكرته عن الكمال في كتابه*De perfectione*.

يقوم في هذا العمل بالتمييز نفسه بين الكمال الضروري للخلاص (محبّة بدون خطيّة مميتة)، والمحبّة الكاملة (التي توجِّه كلّ عواطفنا وفهمنا وأقوالنا وأفعالنا نحو الله) والتي هي ممكنة للجميع وإلزامية علينا جميعًا كمؤمنين.

٣- يجب أن يُحبَّ الله لشخصه

يجب أن نميّز بين المحبّة الكاملة وغير الكاملة. المحبّة الكاملة هي المحبّة لشخص الآخر، لشخصه. ولكن من الممكن أن يحبّ المرء الآخر جزئيًا من أجل منفعة يجلبها الآخر له. وهذه هي المحبّة غير الكاملة. المحبّة الحقيقية لله (*Caritas*) محبّة كاملة، والتي تلتصق بالله لشخصه. النوع الآخر من المحبّة يوجد فيه عنصر الرجاء بشكل أكثر. ومثل هذه المحبّة التي تنبع من الرجاء، تتضمّن جزءًا من المنفعة الشخصية وهي لهذا السبب غير كاملة.

هل المحبّة الكاملة ممكنة في هذه الحياة؟ للإجابة عن هذا السؤال، يلجأ توما إلى وصيّة يسوع في (متى٥: ٤٨) "فكونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السّموات هو كامل". ويقول، إنّ الناموس الإلهي لا يأمر بالمستحيل.

ولكن ما المقصود بكلمة الكمال؟ تأخذ إجابة الإكويني في الحسبان المعنى الثنائي للكلمة اليونانية (*teleios*) المستخدمة في العهد الجديد: ١- الكمال، أو الوحدة الكاملة التي لا ينقصها شيء، و٢- "الملاءمة مع الهدف" أو "مطابقة الشيء مع الهدف منه".

فيما يتعلّق بالمعنى الأول، وحده الله هو المطلق الكمال. ولكن الإكويني يتحدّث عن الكمال البشري، والذي تحبّ فيه النفس البشرية الله لأقصى إمكانية لديها. لا شيء ينقص تلك المحبّة التي يمكن أن تكون هناك. وبما أنّ إمكانيات النفس لا تقدر أن تكون في تمام تطوّرها في هذه الحياة، ، فهذا النوع من الكمال ليس لنا ما دمنا على الطريق. سيكون لنا هذا فقط في السماء.

> يشير النوع الثالث من الكمال إلى إزالة كلّ العقبات من طريق محبّتنا لله ... ويمكن نوال مثل هذا النوع في هذه الحياة بطريقتين. أولًا بإزالة كلّ ما هو مناقض للمحبة من مشاعر الإنسان مثل الخطية المميتة؛ ولا يمكن أن تكون هناك محبّة بعيدًا عن هذا الكمال ، ولهذا السبب، هناك ضرورة للخلاص. ثانيًا، بإزالة كلّ ما هو مناقض للمحبة من مشاعر الإنسان، بل أيضًا كلّ ما يعيق العواطف العقلية من الاتجاه

وفي شرحه للنّصّ، "مَنْ يثبت في المحبّة يثبت في الله والله فيه" (١يو٤: ١٦)، يوضّح توما الأمر أنّ المحبّة النقيّة الّتي ليس لها مصلحة ممكنة هنا والآن. يجب أنْ نتمتّع بالله. لهذا السّبب يُحَبُّ الله لشخصه. يجب أن يُحَبُّ حالًا، وتُحَبُّ الأمور الأخرى من خلال الله. بالرّغم من أنّه لا يوجد مخلوق يقدر أن يحِبّ الله بشكل غير محدود، لأنّ كلّ المخلوقات محدودة، يمكن أنْ يُحَبُّ الله بحسب قدراتنا المحدودة من خلال عطيّة الروح القدس.

٤- الكمال النهائي يكون في الحياة الأخرى.

رأينا فيما سبق أنّ التّطوّر الكامل لقِوى النّفس ممكن فقط في السماء. تُرى قِمّة الآيات بالنسبة للإكويني في معالجته لرؤية الله المبهجة: "وسنراه كما هو" و "نحن ننظر الآن في مرآة، أما فيما بعد فوجهًا لوجه". هذه هي الوعود التي يرتكز لاهوته عليها.

لن يُرى الله في عيوننا الجسدية. سيُحفظ التمييز بين الخالق والمخلوق في السماء. لكن في هذه النقطة يقدِّم توما حقيقة أجسادنا السماوية. سعادة القديسين ستكون أعظم بعد القيامة "لأنّ سعادتهم لن تكون في النفس فقط، بل في الجسد أيضًا".

كلّما كان الشيء كاملًا في كينونته، كلّما كان قادرًا أنْ يعمل بشكلٍ كامل: حيث يكون عمل النفس المتّحدة بمثل ذاك الجسد، أكثر كمالًا من النفس المنفصلة. لكن الجسد الممجّد بهذا الوصف، سيكون خاضعًا للروح بالكامل. لذلك، بما أنّ السعادة تتوقّف على هذه

ولكن كيف يقدر الإنسان أن يحبّ الله محبّة خالية من المصلحة؟ ويجيب كيتان (Caietan) بطريقة يوافق عليها الإكويني. من الممكن التمييز في معنى الخير الذي نقدر أن نجعل الله يمتلكه؛ وقد يعني "الخير الذي فيه" – أي في الله– أو ببساطة الذي يشير إلى الله. "الخير الذي في الله، في حياته، حكمته، برِّه، رحمته".[٨] وفي المعنى الأكثر دقّة، إنّه الله نفسه، ونحن نقدر بالمحبّة أن نريد لله أن يمتلك ذلك الخير عندما نتلذّذ بحقيقة أنّ الله هو الله. نحن نحبّ الله محبّة نقيّة طاهرة، عندما نحبّه كالإله الذي أظهر نفسه ليكون، عندما نحبّه كما هو في ذاته.

الخير الذي نشير به لله في ملكوته، الطاعة الواجبة لشخصه (متى٦: ١٠). هذا الخير الذي نريده لله، عندما نُخضِع أنفسنا بالكامل لإرادته وقصده، عندما (بتعبير لوثر) ندع الله أن يكون الله. هذه هي المحبّة المتضمّنة في الوصيّة الأولى (متى٢٢: ٣٧-٣٨).

هذه هي المحبّة الكاملة بالنسبة لتوما الإكويني. إنّها "أكثر الفضائل تمييزًا"، لأنّها تبلغ الله أكثر من الإيمان والرجاء. الإيمان يتطلّع لله، والرجاء يشتاق لله، لكن المحبّة تصل إلى الله نفسه لتثبت فيه... لأنّ المحبّة تعني ثباتًا في الله، إنّها آنيّة في تتميم غايتها، أكثر من الإيمان والرجاء.

النظر عن النذور والفرائض، فهو متمسّك أنّ "الحالة الدينية" تشكِّل طريقًا مُختصرًا للكمال. أي شخص حكيم سيأخذ النذور.

ج- يظهر أنّ رؤية الإكويني للسماء على الأغلب، فردية بشكل خاص. ويقول في بحثه الشامل (*Summa*):

إذا تحدّثنا عن السعادة في هذه الحياة، فالشخص السعيد يحتاج للأصدقاء.... ليعمل الخير لهم؛ ويبتهج برؤيتهم يعملون الخير؛ وأيضًا أنْ يُساعَد بواسطتهم في عمله للخير...

> ولكن إذا تحدّثنا عن السعادة الكاملة التي ستكون في وطننا السماوي، فالشركة مع الأصدقاء ليست ضرورية للسعادة؛ لأنّه لدى الإنسان ملء كماله في الله. ولكن الشركة مع الأصدقاء تفضي إلى سعادة صالحة .... كمال المحبّة ضروري للسعادة، كما لمحبّة الله، ولكن ليس كمحبّتنا للقريب. لأنّه، إذا كان هناك فقط نفس وحيدة متمتّعة بالله، ستكون سعيدة، حتّى لو لم يكن لديها قريب لتحبّه.(١٢)

ويُعلّق د. فلو، "لغاية الآن، أنا لم أجد في *Summa Theologica*، أي فقرة تحيِّد العزلة الاجتماعية أكثر من هذه المقالة".(١٣) لكنّه، كما يعترف، هناك عدّة فقرات تتضمّن عقيدة أخرى وأكثر مسيحية، والتي تسمح بأبدية الصداقة والبشرية وشركة القديسين الحقيقية. "لكن يظهر أنّ عواقب هذه الفكرة لم تُدرَك من قِبَل القديس توما. لدينا نتيجة غريبة مثيرة للفضول. الشيء المثالي الذي بشّر به على أنّه قابل للإدراك في الحياة الحاضرة، في هذا الاعتبار على الأقل، متفوّق على التطويب الكامل في الحياة الأخرى".(١٤)

العملية، فإنّ سعادة النفس بعد اتّحادها بالجسد ستكون أكثر كمالًا من قبل.[٩]

ملاحظة نقدية؛ توجد ثلاثة آراء نقدية بخصوص عقيدة توما الإكويني في الكمال.

أ. مِثل أوغسطين، يتحدّث عن تقييم أفلاطوني للجسد ورغباته. في مجمل مخطّطه للكمال، هناك امتعاض من العالم بصراعاته ورغباته كما من حلم سيء، أو أنّه مجرّد ظلّ عابر. ومع أوغسطين، يرى توما *Cupiditas* (رغبات الجسد)، أنّها شرّ؛ ويقول بالتحديد، "Perfection nulla cupiditas" ويقصد بهذا، أنّ الكمال يعني إزالة رغبات الجسد. لكن، كما يشير فلو، "لا يتوقّف شرّ الطبيعة البشرية على الرغبات الجسدية، كما لا يتوقّف الكمال على رفض تلك الرغبات".[١٠]

ب- يعلِّم توما الإكويني كمالاً يحمل معه الاستحقاق البشري. ويحاول في كتابه *De perfectione* أن يثبت أنّ "الإنسان الذي يسلك تحت النذر أو التكريس يستحقّ من الله أكثر من الشخص الذي يسلك تحت أي التزام".[١١] هذا التقديم لقضية الاستحقاق من الله على أساس فضيلة النذر أو التكريس، بعيد كلّ البعد عن وصفه للمحبّة المكملة على أنّها عطيّة الروح القدس. وعلى الرّغم من أنّ الإكويني آمن أنّه يمكن لكلّ البشر أن يبلغوا الكمال المسيحي، بغضّ

يمثّل فرانسوا دي سال هذا المفهوم الجديد للكمال. أصرّ على أنّ مهمّته كانت "أن يرشد أولئك الذين يعيشون في المدن، البيوت، وفي البلاط الملكي، الذين أجبرتهم ظروفهم أن يعيشوا خارجيًا حياة طبيعية". وقد اعترض، "إنّه من الخطأ، بل إنّه أكثر من هرطقة، أن نتمنّى أن تُنفَى حياة التقوى من الجيش، من ورش العمل، من بلاط الأمراء، ومن بيوت الزوجية".[١٦] وقد قصد بحياة التقوى، الكمال.

ويطرح في بحثه (*Treatise on the Love of God*) عقيدته، ويفتتحه بنقاش نفسي يميّز فيه فرانسوا بين "جزئي" النفس.

> يُسمّى ذلك الجزء بالدونيّ، وهو الذي يصدر الأحكام ويرسم الاستنتاجات بناءً على ما يتعلّم ويختبر بالحواس؛ ويُسمّى الجزء الآخر المتفوّق، وهو لا يصدر أحكامًا أو يرسم الاستنتاجات بناءً على معرفة عقليّة ليست مؤسّسة على اختبار الحواس، بل على تمييز وحكم الروح. يُسمّى هذا الجزء – وهو المتفوّق– بالروح والقسم العقلي من النفس، كما يُصطلَح تسمية الجزء الدونيّ بشكل شائع، الحواس، المشاعر، والمنطق البشري.[١٧]

وكما كان هناك ثلاث ساحات في هيكل سليمان، كذلك يوجد في هيكل النفس ثلاث درجات مختلفة من العقل والمنطق. في "الساحة" الأولى، نحن نصدر أحكامًا وِفْقًا لخبرة حواسنا، وفي الثانية وِفْقًا للعلوم الإنسانية، أمّا في الثالثة فوِفْقًا للإيمان. ولكن هناك مكان رابع هو القدس، في داخل النفس، وهو بمثابة قُدس الأقداس. لا تُقاد النفس هنا بنور المنطق النقدي، لكنّها تتمتّع برؤية بسيطة

ب- فرانسوا دي سال (Francois de Sales)

بالرغم من أنّ توما الإكويني قد علَّم أنّ الكمال ممكن لجميع المسيحيين، إلاّ أنّ فكرته شجّعت الحياة المنعزلة في الدّير. أولئك الذين أخذوا تعليمه بجدّية انسحبوا من الحياة ليعيشوا حياة تأمّل روحيّة هادئة.

قبل عصر الإصلاح، أسّس فرانسيس الأسيزي (Francis of Assisi) الرهبنة الثالثة"، وجعل فكرة القداسة في متناول أولئك الذين يتزوّجون، والّذين يشاركون في نشاطات الحياة العامة. كان الهدف الضّمني لحركة الرهبان الثانويين (Friars Minor) الإيمان أنّ الكمال ممكن لجميع المؤمنين، "ليوقظوا في نفوس المسيحيين في كلّ مكان جوعًا للقداسة والكمال، وليحافظوا على المثال في الاتّباع المباشر للمسيح أمام عيون العالم كمشهد حيٍّ مستمرّ، وبتقديم الذات ذبيحة تكريس، ليصبحوا كلّ الأشياء لأولئك الذين كانوا مهجورين روحيًّا وعاطلين جسديًّا".(١٥)

ولكن الإصلاح كان ضروريًّا لإيقاظ الوعي في الضّمير المسيحي لقداسة الحياة الاعتيادية. بالنسبة للوثر، الحرّاث المؤمن في وظيفته، متديّن حقيقي كالكاهن الذي يقدّم القربان المقدّس على المذبح. في مناخ هذا الفهم الجديد، أُظهرَت فكرة الكمال على الملا بطريقة جديدة كليًّا.

"بالوظائف القانونية" للعالم اليومي. إنّ فرانسوا يهتمّ أن يوقظ في دواخل البشر إدراك الصوت السماوي داخل نفوسهم.

> كلّما فكّر الإنسان، ولو بانتباه بسيط بالأمور السماوية، يشعر بشعور مبهج في القلب، والذي يشهد أن الله هو الله للقلب البشري... لذلك عندما يجفل من فاجعة أو نكبة، يتحوّل على الفور إلى السماء، معترفًا أنّه عندما تكون الأمور شريرة، وحدها السماء تكون حسنة تجاهه... هذا السرور، هذه الثقة في الله التي تكون طبيعية لدى القلب البشري، تقدر دون ريب أن تبرز من العدم لتحافظ على علاقة موجودة بين الصّلاح الإلهي ونفوسنا، علاقة مطلقة لكنّها سرّية، يكون كل واحد واعٍ لها ولكن قليلون يستوعبونها.(٢١)

هذا مثال للروحانية الباطنية والإنسانية في وقت واحد. يعكس فرانسوا دي سال الصّوفية الأفلاطونية المحدَّثة، وعصر النهضة الإنسانية كليهما. على الرّغم من أنّه يقتبس للقديسة تريزا، التعليق المفقود أنّ "ذاك الاستعداد للتكريس لشخص المسيح، وللمسيح وحده، الذي يعطي الإسبان، على الرغم منهم، نوعًا من القرابة للمسيحية الإنجيلية".(٢٢) مع ذلك، تتلألأ كتاباته بالتبصّر المسيحي. دون شكّ نحن خاصة الله؛ أنت لديك كلّ ما تحتاجه".(٢٣) "أنا أترك لكم روح الحرية.... روح أولاد محبوبين. إنّه إعتاق القلب المسيحي حرًّا من كلّ الأشياء، ليتبع مشيئة الله حالما يعرفها".(٢٤)

للفهم، ومشاعر بسيطة للإرادة، وتذعن وتسلّم للحقيقة ولإرادة الله. "لا يوجد في القدس نوافذ لتعطي الضّوء: في هذه الدرجة من النفس لا يوجد منطق لينير".(١٨)

في القدس، يتسامى المنطق والإيمان، وتستمتع النفس بالتأمّل الروحي. "يُطلَق على صغار النحل اسم عذارى (nymphs) أو (schadons) إلى أن تصنع العسل، وبعد ذلك يُطلَق عليها اسم نحل: وهكذا، فالصلاة تُسمَّى تأمّلًا (Meditation) حتى تنتج عسل العبادة، وهناك تتحوّل إلى تأمّل روحي(Contemplation).(١٩)

هناك في هذه الأسرار المقدّسة، والتي تحوي باقي الأسرار، يتوفّر طعام **للأصدقاء** ليأكلوا ويشربوا جيدًا، و**الأصدقاء الأعزاء** جدًّا ليبتهجوا كالسكارى... أن تأكل هو أن تتأمّل... أن تشرب هو أن تتأمّل روحيًّا... ولكن أن تبتهج كالسكارى هو أن تتأمّل بشكل متكرّر، وبحماسة كأنْ تخرج من ذاتك لتكون بكلِّيتك في الله. ما أقدس ذاك الابتهاج الذي... لا يُبعدنا عن الإحساس الرّوحي، لكن عن الحواس الجسدية؛ وهو لا يجعلنا بلداء ولا يسكرنا، بل يجعلنا كالملائكة، وبطريقة ما يؤلهنا.(٢٠)

يكشف هنا فرانسوا عن مُتَع التأمّل الروحي، ويجعلها متاحة لجميع أصناف وصفوف المؤمنين. ما كان في السابق امتيازًا حصريًا للمتأمّلين العظماء، أصبح الآن ممكنًا لأولئك الذين ارتبطوا

خوان دي كاستانيزا (Juan de Castaniza)، توماس كيمبس (Thomas a Kempis)، مولينوس، مدام غيون (Madame Guyon) وفرانسوا فينلون (Francois Fenelon).

ج- فرانسوا فينلون (Francois Fenelon)

إنّ تأثير الإصلاح البروتستانتي على فكرة الكاثوليك للكمال، واضح بشكل جلي في فكر فينلون. بصفته قسّيسًا في بلاط لويس الرابع عشر، كان فينلون قائدًا لمجموعة صغيرة من أشخاص جدّيين كانوا قد سعوا أن يعيشوا حياة روحية عميقة وصحيحة، في وسط الخلاعة والظروف الصعبة للبلاط الفرنسي. يُعَدُّ عمله *Instructions et Avis sur Divers Points de la Morale et de la Perfection Chretienne*، عملًا كلاسيكيًا تعبّديًا، وقد تُرجِم إلى الإنجليزية تحت عنوان: Christian perfection.

ينتشر في كتابات فينلون دِفء إنجيلي. وبينما لديه الكثير ليقوله عن إماتة الجسد، فهو لا يأمر بفحص ذاتي للأفكار والدوافع والمشاعر (Self-Introspection). من البداية إلى النهاية، الكمال هو عمل نعمة الله. والانفصال الذي يميّز القديس، ليس الانسحاب من العالم، لكنّه الانفصال الداخلي عن الإرادة الأنانية. علاوة على ذلك، وبعيدًا عن أن تكون حياة صوفيّة عقليّة في التأمّل العقلي، فإنّ حياة الكمال حياة سعيدة خالية من الهمّ، وهي حياة

في المئوية الثالثة لفرانسوا دي سال، أصدر البابا بيوس الحادي عشر مرسومًا بابويًا أعلن فيه الاحترام والتقدير لفرانسوا الذي وسّع آفاق الكمال المسيحي.

أسّس المسيح الكنيسة مقدّسة ومصدرًا للقداسة، وجميع أولئك الّذين اتّخذوها كمرشد ومعلّم، يجب وفقًا للإرادة الإلهية، أن يسعوا لقداسة الحياة، لأنّ: "هذه هي إرادة الله قداستكم"، كما يقول القديس بولس.

ما نوع القداسة المقصود بها؟ يشرحها ربّنا نفسه كما يلي: "فكونوا كاملين كما أنّ أباكم الّذي في السّموات هو كامل". لا يجب أن ندع أحدًا يفكّر أنّ هذه الدعوة موجّهة لمجموعة صغيرة، أو إلى عدد مختار، بينما يسمح للباقين أن يبقوا بمستوى فضيلة منخفض. كما هو واضح، فإنّ هذا القانون فضل وهبة للجميع على الاطلاق وبدون استثناء. وعلاوة على ذلك، كلّ أولئك الذين يصِلون إلى قِمّة الكمال المسيحي، واسمهم الحشد الغفير، من كلّ عصر وطبقة، وِفْقًا لشهادة التاريخ، اختبروا نفس ضعفات الطبيعة وعرفوا نفس الأخطار. ويضع القدّيس أوغسطين القضية بوضوح عندما يقول: "الله لم يأمر بالمستحيل، ولكنّه في إعطاء الوصية، فإنّه يحثّنا أن ننجز ما نستطيع إنجازه حسب طاقتنا، وأن نطلب معونة لننجز ما يفوق حدود طاقتنا".(٢٥)

كما يقول بيوس، عدد أولئك الذين وجدوا عطية الكمال المسيحي (الحشد الغفير). وقدّيسو الكاثوليك الّذين كتبوا في هذا الموضوع كثيرون جدا لدرجة أنّ المرء يقدر أن يكتب كتابًا كاملًا من أعمالهم. وهنا نفكّر على الفور بالمتنسّكين الإسبان والفرنسيين،

مطلب الله هذا، بالالتزام فقط نحوه، يلمس غالبية دقائق وتفاصيل حياتنا. "نحن نقول هذا "لا شيء"، نعم، إنه لا شيء، لكن ذاك اللاشيء هو كلّ شيء لك؛ اللاشيء الّذي تهتمّ كثيرًا ألا تقدّمه لله؛ اللاشيء الذي تحتقره بالكلام، فبذلك يكون لك عذر لترفضه، لكن، في النهاية، إنّه لاشيء ذاك الذي لا تسلّمه لله، وهو ما سيكون سبب دمارك".[٢٩] يجب أن تجلبنا محبّة الله لمكان نكون فيه خاصّته بالكامل. "هذا هو الانفصال عن إرادة الذات، وهذا ما يعنيه الكمال المسيحي".[٣٠] ما يريده الله هو "نيّة صافية، وانفصال صادق عن ذواتنا".[٣١]

وما لا يقبل الشّكّ أنّ حياة الكمال هي تقليد يسوع. "أنْ نعيش كما عاش، أنْ نفكّر كما فكّر، وضمان تقديسنا هو أنْ نطابق ذواتنا مع صورته".[٣٢] لكن لدى فينلون كلمة تحذير هنا. "دعونا لا نتظاهر أنّنا قادرون على الوصول لهذه المرحلة بقوّتنا الشّخصيّة. لكن.... دعونا نقول بثقة، (أستطيع كلّ شيء في المسيح الذي يقوّيني)".[٣٣] ويختتم فينلون هذا الفصل بصلاة: "آه يا يسوع، أريد أن أتبع الطريق التي اتّخذتها! أريد أن أقلّدك؛ وأستطيع القيام بذلك فقط بنعمتك... يا يسوع الصالح، يا من قاسيت العار والإذلال لأنّك تحبّني، اطبعْ الوقار والمحبّة لشخصك بعمق داخل قلبي، واجعلني أرغب في ممارستهما!"[٣٤]

مُشابَهة المسيح في الشركة المُحِبّة للآخرين. كتّاب قليلون أدركوا مِلء روح يسوع.

آه، كم يمكن أن تكون التقوى بسيطة وساكنة صافية! ما أَحَبَّها! يعيش المرء أكثر مما يعيش الآخرون، بدون مشاعر، دون أي إظهار لِتَزَمُّت، بطريقة سلسة واجتماعية، ولكن مفيدة باستمرار، أعمال الشخص وواجباته، وبالتخلّي الحازم عن كلّ ما لا يدخل لحظة بلحظة في خطط الله، باختصار، برؤية واضحة نقيّة لله، يُضحّي لها المرء بالنّزوات الشاذة في الطبيعة البشرية.(٢٦)

تتعدّد الفقرات مثل هذه في أعمال فينلون. المسيحي الكامل هو "حرّ، مرح، بسيط، وطفل". "إنّه لا يجهد نفسه بإماتات الجسد المتكلّفة".(٢٧) إنّه يقبل التدبيرات الإلهية للحياة ويسلِّم بفرح، كما يقبل ضعفاته البشرية كفرص للتطوّر الرّوحي. الحياة المقدّسة حياة محبّة صحيّة قويّة.

إذًا حياة الكمال بالنسبة لفينلون تعني المحبّة الكاملة. لا يقدر الله أن يرضى بقلب منقسم، أو مُجرّد كلام. إنّه يهتمّ بما "هو حقيقي في عواطفنا".

الله إله غيور، وهو لا يريد أيَّ تحفّظات. الكلّ ليس كثيرًا عليه. إنّه يأمرنا أن نحبّه، ويشرح ذلك هكذا: "تحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك، من كلّ نفسك، من كلّ قوّتك، ومن كلّ فكرك". لا نقدر، بعد هذا، أن نؤمن أنّ الله يرضى بديانة طقسية فقط. إنْ لم نُعْطِهِ كلّ شيء فهو لا يريد أي شيء.(٢٨)

فـي بدايـة الأمـر، هاجمنـا الله مـن الخـارج. انتـزع منـا رويـدًا رويـدًا الأشـياء التـي أحببناهـا جـدًّا، والتـي هـي مخالفـة لناموسـه. لكـن هـذا العمل الذي من الخارج، على الرغم من أنّه ضروري وأساسي لوضع الأساس لكامل المبنى، إلا أنّه جزء صغير جدًّا من العملية. آه، لكن العمل في الداخل، مع أنّه غير منظور، فهو أعظم بدون مقارنة، أصعب وأكثر روعة! وهناك يأتي وقت يهاجمنا الله فيه، بعدما يكون قد سلبنا بشكلٍ شامل، وبشكلٍ شامل أيضًا جعلنا نموت من الخارج عن الأشياء التي نحتفظ بها، يهاجمنا من الداخل بأخذنا بعيدًا عن ذواتنا. لن تكون هناك بعد ذلك أمور خارجية ليحرمنا أو يجرّدنا منها. في هذا الوقت يأخذ الله الأنا، والتي كانت مركز محبتنا. نحن أحببنا بقيّة الأشياء فقط، بسبب هذه الأنا، وهي الأنا التي يلاحقها الله بلطف وبغير قسوة.... اقطع أغصان شجرة، لا لكي تميتها، فأنت تقوّيها وتعيد حيويّتها. فهي ستنمو ثانية في جميع الاتجاهات. لكن هاجم الجذع الرئيسي أو أَثْلِف الجذور فتسقط أوراقها وتمرض وتموت. وبهذه الطريقة يُسرُّ الله أن يجعلنا نموت.(٣٧)

في لحظة الكشف الذّاتي ترى الذّات طبيعة الوثنيّة خاصّتها. هي ترتعب ممّا تراه. تبقى أمينة، ولكنّها لا ترى فيما بعد أمانتها. كلّ عيب كان لديها لغاية تلك اللحظة، يقف ضدّها، وغالبًا ما يظهر الكثير من العيوب الجديدة والتي لم يشكّ بها أبدًا. ولن تجد فيما بعد ذلك المصدر من الشجاعة والحماسة الذي كان يدعمها. وبالتالي تُستنزف. فهي كيسوع المسيح حزينة حتى الموت. كلّ ذلك يُترَك، إنّه الرغبة في أن تلتصق وتتشبّث بلاشيء، ولتسمح لله أن يعمل بدون أي تحفّظ.(٣٨)

الحاجز الذي يقف في طريق الكمال المسيحي، هو تمركزنا الخاطئ على الذات. "الخطأ أو العيب الذي في داخلنا الذي هو مصدر كلّ الخطايا الأخرى، هو محبّتنا لذاتنا، والتي نربط كلّ شيء فيها بدلًا من ربطها بالله".[٣٥] "و(أنا) الإنسان العتيق هذه" هي "السمّ الماكر الخبيث" الذي يسمّم كلّ الحياة. هي لا تقود الخطاة فقط ليبحثوا عن التقديس في عناصر الخليقة، بل إنّها أيضا تخدع القدّيسين لكي يبحثوا عن ذواتهم أكثر من بحثهم عن الله في مساعيهم الدّينية. وهكذا "يسقطون بعد وقت قصير عائدين إلى أعماق ذواتهم، حيث يصبحون ثانية آلهة لأنفسهم من جديد. فكلّ شيء للنفس أو يتعلّق بالنفس، أمّا باقي العالم فليس ذا قيمة".

لا يريدون أن يكونوا طموحين ولا جشعين ولا ظالمين ولا غادرين، لكنّها ليست المحبة الّتي تُثبّت كلّ الفضائل أمام هذه الرذائل. على العكس من ذلك، إنه خوف غريب يأتي بشكل متقطّع، وهو يُبعد جميع تلك الرذائل التي تذهب مع النفس المكرّسة لذاتها، هذا ما يجعلني أتوق لتقوى إيمان نقيّ وموت كامل، يأخذ النفس بعيدًا عن ذاتها دون أي رجاء بالعودة ... إنّها محبّة مختلطة مع محبّة النفس التي تفسدنا.[٣٦]

لذلك، فالطريقة التي يستعملها الله في تقديسنا، هي هجوم دقيق عميق على مركزية ذواتنا. وفي فقرة شديدة العمق، يصف لنا فينلون هذه العملية.

أثناء سيرنا مع الله الحاضر أمام عيوننا". المثالي هو "حذر بسيط رقيق صافٍ وغير مُتحيّز".(٤٢)

يعبّر فينلون بحرية أنّ الحياة الكاملة ليست مُتقلّبة مع وجود تشتّت وفترات من الجفاف الرّوحي. إذا لم يُلْقَ القدّيس المُستنير إلى اليأس بسبب نقائصه الباقية، أيضًا سيتم ذلك بسبب إحباطاته العاطفية التي تأتي من وقت إلى آخر. ويشرح فينلون، "المحبّة النقيّة هي فقط وحدة الإرادة.... إنّها المحبّة الّتي تحبّ بدون مشاعر، إيمان نقيّ يؤمن بدون أن يرى. إذًا، المحبّة طاهرة وعفيفة لأنّها الله نفسه ولأجل نفسه. نحن لدينا الوصيّة، وأُعْطينا القدرة لِكَيْ نُحبَّ.(٤٣)

وقد يحدث أنّنا نسير مدّة طويلة بدون تفكير أنّنا نحبّه، وأنّنا نحبّه خلال هذه الفترة محبّة ليست أقلّ من الفترات التي جعلناه فيها، أكثر الإعلانات لطفًا. المحبّة الحقيقية تسكن في أعماق القلب.(٤٤)

وبالنسبة للّهو والتشتّت غير الإراديين، فإنّهما لا يعوقان المحبّة أبدًا، طالما أنّهما يوجدان في الإرادة، ولن يكون لدى الإرادة لهو أو تشتّت إن لم ترد أن يكونا لديها. عندما نلاحظهما، فإنّنا ندعهما يسقطان، ونعود ثانية لله. وهكذا، بينما تنام الحواس الخارجية للعروس، فإنّ قلبها يرقب، ومحبّتها لا ترتخي. الأب الرقيق لا يفكّر دائما بتميّز عن ابنه. ألف شيء يأخذ خياله وعقله. لكن هذه الأشياء التي تشتّت لا تعوق أبدًا محبّته الأبوية. وفي أي لحظة يعود فيها ابنه إلى ذهنه، فإنّه يحبّه، ويشعر في أعماق قلبه أنّه لم يتوقّف عن محبّة ابنه لحظة

وهكذا، في لحظة التقديس الداخلي، نحن "نسمح لله أن يعمل بدون تحفّظ". ويصرُّ فينلون على أنّ أولئك الذين ينكرون إمكانية المحبّة المكمّلة في هذه الحياة، "لا يحسبون حساب الطبيب الذي بداخلهم، الذي هو الروح القدس الذي يؤثّر في كلّ شيء في داخلنا.... نحن نتصرّف كأنّنا كنّا وحيدين في هذا القدس الداخلي. وفي المقابل، يكون الله هناك أكثر حميمية ممّا نكون نحن أنفسنا".(٣٩)

> إذا تخيّل أيّ شخص أنّ هذه المحبّة المكمّلة مستحيلة ووهمية، وأنّها حماقة ماكرة يمكنها أن تصبح مصدرًا للخداع، عندي له كلمتان فقط للإجابة. لا شيء مستحيل عند الله. الله نفسه يدعو نفسه الإله الغيور. هو يحافظ علينا فقط، في رحلة الحياة الطويلة ليقودنا إلى الكمال. مُعاملة هذه المحبّة على أنّها وهم وخطر ماكر، هو توجيه تهمة الخداع لأعظم القدّيسين على مرِّ العصور، الذين قبلوا هذه المحبّة، والّذين وصلوا بها أعلى مراتب الحياة الرّوحية.(٤٠)

لذلك يوجد في قلب الحياة المسيحية عمل تنقية إلهية يوصّل النفس إلى محبّة فائقة لله. ليس فقط أن هذه الأزمة يتفوق عليها أسلوب الإماتة المقدس، بل يتبع هذا سير يقظ أمام الله. المصدر الرئيسي لكمالنا متضمَّن في الكلمة التي قالها الله لإبراهيم منذ وقت بعيد، (سِرْ أمامي وكُنْ كاملاً). حياة القداسة الحقيقية هي حياة التّيقّظ "دون أن نكون مشغولي البال كثيرًا.... نحن لا نحرس أنفسنا

الفصل الثامن

لاهوت الإصلاح

المساهمة الحاسمة التي ساهم فيها عصر الإصلاح بالنسبة لفكرة الكمال المسيحي، كانت استِعادة تعليم العهد الجديد، أنّه يمكن للناس أن يعيشوا الحياة المسيحية بمِلئها مهما كانت طبقاتهم. ويعبِّر إقرار أوغسبرغ (Augsburg Confession) عن هذا الحق كما يلي:

> هذا هو الكمال المسيحي، أنْ نَهابَ الله بإخلاص، ومجددًا أنْ نؤمن إيمانًا كبيرًا، وأن نثق، أنّه من أجل المسيح، فإنّ الله مُسالم تجاهنا؛ وبيقينٍ أن نطلب المعونة من الله في كلّ شؤوننا، ووِفقًا لدعوتنا؛ وفي غضون ذلك، أنْ نقوم خارجيًا بأعمال صالحة باجتهاد، وأنْ نُصغي إلى دعوتنا. تكمُن عبادتنا الحقيقية، وكمالنا المسيحي في هذه الأمور؛ ولا تكمن في العزوبيّة أو الاستجداء أو أن نكون في مظهر حقير وتافه.[1]

ويقول لوثر، في حديثه عن الخادمة التي تطبخ وتتظّف وتقوم بالأعمال المنزلية الأخرى، "لأن وصيّة الله هناك، فحتّى مثل هذا العمل الصّغير يجب أن ينال الحمد كخدمةٍ لله، تفوق كثيرًا القداسة والتنسّك لكلّ الرهبان والراهبات".[2] تتكرّر عبارات مثل هذه كثيرًا في عظات لوثر. ويقول ميلانكثون (Melanchthon): "كلّ الرجال من أي مهنة كانوا، يجب أنْ يبحثوا عن الكمال ويسعوا إليه،

واحدة، على الرّغم من أنّه توقّف عن التفكير به. هكذا هي المحبّة بالنسبة لأبينا السماوي، محبّة بسيطة بدون شك وبدون قلق.(٤٥)

في كلّ الخدمات الكهنوتية، لدى الله غرض واحد فقط في فكره – أن يفطمنا بعيدًا عن أنفسنا ويربطنا بمحبّته. "إنّها تتزايد باتّجاه الله، المقدرة على الحفاظ على اختبار حضوره".(٤٦)

في الحقيقة، يجب أن نذكّر أنفسنا بيسوع المسيح، الذي تخلّى عنه أبوه على الصليب. سحب الله كلّ مشاعره وكلّ خزي أو تفكير، ليخبّئ نفسه من يسوع المسيح. لقد كانت تلك الضربة الأخيرة من يد الله، وقد ضُربَت، وبقوة رجل الأوجاع والأحزان. لقد كان ذلك اكتمال تضحيته. لا نحتاج أبدًا أن نترك أنفسنا لله عندما يبدو أنّه يتركنا. إذًا دعونا نأخذ النور والتعزية عندما يمنحهما، لكن بدون أن نصبح ملتصقين بهما. عندما يدخلنا الله أو يقحمنا فجأة في ظلمة الإيمان النقي، دعونا نسير في تلك الظلمة، ودعونا نعاني بمحبّة ذلك الكرب.... نحن نقبل الكلّ، حتى التجارب التي نُمتحَن من خلالها. هكذا نكون بسريَّة في سلام بسبب إرادته، التي تحفظ القوة المخزونة في أعماق نفوسنا لتحمُّل الحرب. مبارك الله، الذي أتمّ كلّ هذه الأمور فينا بالرّغم من عدم استحقاقنا!(٤٧)

قد يكون من الصعب المُبالغة في أهمّية هذا التغيير الجذري للتقوى المسيحية الذي أحدثه لوثر. في عبادة العصور الوسطى، كان أسمى تعبير للحياة الروحية معرفة الله ومحبّته، عن طريق التأمّل الروحي. أمّا بالنسبة للوثر، معرفة الله ليست اكتشافًا بشريًا يتمّ عن طريق التأمّل الروحي، ولكنّها إعلان الله نفسه وعطيّة يسوع المسيح.

> لا أحد يتذوّق الذات الإلهية كما يريدها الله أن تُذاق، هكذا يريدها الله: أن تدرك أنّه يمكن رؤية الله في ناسوت المسيح. إذا لم تجد الذات الإلهية هكذا، فإنك لن ترتاح أبدًا. من هنا، دعهم يواصلون التأملات، ويتكلّمون عن التأمّل الروحي، كيف أنّ كلّ شيء هو تودُّدٌ لله، وكيف أنّنا نأخذ دائمًا تذوّقًا أوليًا للحياة الأبدية، وكيف تبدأ النفوس الروحية حياة التأمّل الخاصّة بها. لكن تعلَّم ألا تعرف الله هكذا، أنا أوصيك.(٧)

فَرْقٌ آخر بين تقوى الكاثوليك وتقوى لوثر يجب أن نأخذه بعين الاعتبار. بِرُغْمِ التأمّل الروحي العقلي عن الله، فإنّ التقوى لدى الكاثوليك كانت أخلاقية جدًا: الكمال المسيحي هو المحبّة الكاملة– محبّة الله لشخصه والقريب في الله. أمّا بالنسبة للوثر فكان الاختبار الدّيني لغفران الخطايا هو مركز إشعاع التقوى:

> كما أنّ الشمس تشرق وتلمع حتى لو أغمضت عيوني، كذلك عرش النعمة هذا، أو غفران الخطايا هذا، يكون دائمًا متوفِّر، حتى لو سقطت. وكما أرى الشمس ثانية عندما أفتح عيوني، كذلك أيضًا

أي أنْ ينمـوا فـي خـوف الله وفـي الإيمـان وفـي المحبّـة الأخويـة والفضائل الروحية المشابهة.

أ- مارتن لوثر

كان الإيمان الراسخ بقداسة الحياة العادية للمسيحي المؤمن، ثمرة مباشرة لإعادة اكتشاف لوثر للبشارة. بالنسبة لـه، كان يسوع المسيح كلّ شـيء. وهنـاك حقيقتـان من حقائق العهد الجديد سيطرتا على فكره- هما: ناسوت الربّ يسوع ومركزيّة عمله الخلاصي.

يضع لوثر في المقام الأول، ناسوت المسيح في المركز الحقيقي للعبادة المسيحيّة. ويقول فلو بشكل صحيح، "بصرف النّظر عن البشائر الأربعة ورسالة العبرانيين، لا يوجد في الأدب المسيحي قبل لـوثر، بمثـل حيويتـه، ومشـاعره الدينيـة العميقـة عـن ناسـوت يسـوع المسيح. فهو هناك في ذلك الناسوت، يجد الله".[٤] إذا كان برنارد قد تخلّى عن فكرة الرب المتجسّد في مراحل التأمّل الروحي العليا،[٥] فإنّ لوثر يقول في يسوع العهد الجديد:

عندما أتخيّل المسيح، عندها أتصوّره بشكل حقيقي و على نحوٍ لائق... وبعد ذلك أدَعُ كلّ الأفكار والتأمّلات المتعلّقة بمجده وجلاله السماوي تتقشع وتذهب، وأتعلّق وأتشبّث ببشرية المسيح... وهكذا أتعلّم من خلاله أنْ أعرف الآب. هكذا يبزغ في داخلي مثل نور ومعرفة أنني أعرف بالتأكيد، مَنْ هو الله وما هو فكره.[٦]

أن تفصل الإيمان عن الأعمال، كما أنّه من المستحيل أن تفصل الحرارة والنور عن النار.[١٠]

في مقالته حول الحرية المسيحية (On Christian Liberty)، يستخدم لوثر مدخلًا آخر للوصول إلى قضيّة الإيمان المقدِّس. أولًا، تصبح الفضائل المسيحية ملكًا لنفس المؤمن "كما أنّ الحديد المعرَّض للنار يتوهّج كالنار، بسبب اتّحاده بالنار". كذلك النفس تُسلّم ذاتها بأسلوب تعامل قد يسرُّ الله. في المقام الثاني يحِلُّ الإيمان بالله بأنْ ينسب له المجد لكونه أمينًا في وعوده. "أمّا نعمة الإيمان الثالثة، والتي لا تُقارَن فهي أنّها توحّد النفس بالمسيح، كما تتّحد الزوجة بالزوج، بهذا السرّ، كما يعلّم الرسول، يصير المسيح والنفس جسدًا واحدًا. كلّ ما ينتمي للمسيح تقدر النفس أن تطالب به. المسيح هو ملء النعمة والحياة والخلاص. دع الإيمان يخطو خطوة، وهناك تكون الإمكانية والمشهد المبهج للفداء والانتصار".

ويضع "فلو" خلاصة لذلك بقوله: "هكذا هي النفس المؤمنة، بعهد إيمانها في المسيح، تصبح حرّة من كلّ الخطايا، غير خائفة الموت، آمنة من الجحيم، حاصلة على البرّ الأبدي وعلى حياة وخلاص المسيح الذي هو العريس".[١١]

يأتي لوثر هنا إلى الاستهلال الفعلي لعقيدة العهد الجديد في الكمال. لكن لأنّه يؤيّد عقيدة أغسطينوس حول الخطيّة الأصلية على أنّها: الشهوة الباقية، أو الرغبة الملحّة للخطيّة،[١٢] فهو يمتنع

أحصل على غفران الخطايا عندما أنظر وأعود ثانية إلى المسيح.
لذلك نحن لا نقيس الغفران بشكل ضيّق كما يحلم الجهلاء.[٨]

كيف يجعلنا الإيمان مُقدَّسين بعد ذلك؟ أوّل كلّ شيء، يتمتّع المؤمنون بكمال مَوْضَعي "Positiona" أو الكمال المنسوب إليهم. ويشرح وجهة النظر هذه مُعاصرٌ للوثر:

لأنّ الإيمان يستقبل ويقبل هبة الله المجانية، وهكذا يصير الناس قدّيسين بالإيمان، لذا فكلمة "مُقدّس" مكافئة لكلمة "إيمان أو تصديق". القدّيسون، أو الأشخاص المُقدّسون، هم المؤمنون، وأن تكون مُقدّسًا معناها أنّك صرت مؤمنًا. في شرح لوثر ينتقل التشديد من يقدِّس ومقدِّس إلى إيمان وجعل الشخص يؤمن، باستثناء ذلك، لا يوجد فارق حقيقي بين الاثنين.[٩]

بحسب وجهة النظر هذه، الإيمان هو الكمال. ولكن ليس هذا لنقول، أنّ لوثر لا ينسب أي قوّة تقديسية للإيمان. ويشرح في مقدّمته للرسالة إلى أهل رومية كيف أنّ "الإيمان وحده يصنع البارّ ويتمّم الناموس".

على حساب استحقاق المسيح، يحضر الروح القدس، والروح القدس يجعل القلب مسرورًا وحرًا، كما يتطلّب الناموس. الإيمان هو عمل إلهي في داخلنا. هو يغيّرنا ويجعلنا نولد من جديد في الله (يوحنا ١)؛ هو يقتل آدم القديم ويجعلنا معًا أناسًا جديدين ومختلفين، في القلب والروح والفكر والقِوى، ويجلب معه أيضًا الروح القدس. آه، إنّ هذا الإيمان أمر حيّ، مشغول، نشيط وقدير، ويستحيل عليه ألا يقوم بأعمال صالحة باستمرار. هو لا يسأل إذا ما كان هناك أعمال صالحة ليقوم بها، لكن قبل أن يلمع السؤال في الذهن، يكون قد أنجز تلك الأعمال، وهو دائمًا يقوم بتلك الأعمال الصالحة... من المستحيل

هذا هو، بشكل واضح، تعريف لوثر لعقيدة بولس عن الجسد والطبيعة البشرية، والذي يُضعِف تعليمه حول التقديس ويحول دون أن تتمكن العقيدة اللوثرية من تحقيق الكمال الإنجيلي في الوقت الحاضر.

ب- جون كالفن

لا يمكن أن يكون هناك علامات استفهام عن الطبيعة الإنجيلية للاهوت كالفن. بالنسبة له "التحوّل الحقيقي في حياتنا" نحو الله يتوقّف "على إماتة جسدنا وإنساننا العتيق، وعلى إحياء الروح القدس".[١٩] ويتمّ هذا من خلال مشاركتنا للمسيح:

> إذا اشتركنا حقيقةً في موته، فإنّ إنساننا العتيق يصلَبُ بقوته، وهنا يلفظ جسد الخطيّة أنفاسه الأخيرة، وبذلك يفقد الفساد في طبيعتنا السّابقة كلّ قوّته (رو٦: ٥-٦). وإذا صرنا مشاركين في قيامته، فإنّنا نُقام بواسطته إلى جِدَّة الحياة، والتي تنسجم مع برّ الله.[٢٠]

هكذا، إذًا، "يُحرَّر أولاد الله من عبوديّة الخطيّة".[٢١] حياة المؤمن يجب أن تكون حياة القداسة. ويتساءل كالفن: "أي أساس يمكن أن تبدأ به هذه الحياة، أفضل من الأساس الذي تحثنا عليه كلمة الله أن نكون قدّيسين كما أنّه قدّوس؟" (لا١٩: ٢).

> عندما نسمع أي ذكر لاتّحادنا بالله، يجب أن نتذكّر أنّ القداسة يجب أن تكون الرباط لذاك الاتّحاد، ليس أنّنا نبلغ الشركة مع الله باستحقاق القداسة... لكن لأنّها ميزة خاصة بمجده ألا يكون له أي علاقة بأي نجاسة وعدم طهارة".[٢٢]

عن التأكيد مع بولس، على إمكانية التحرّر من الخطيّة في الوقت الحاضر. "تنقسم بقايا الخطيّة بسرعة في جسدنا: لذلك، لأنّنا نلمس الجسد، فنحن خطاة، نعم، وبعد ذلك استقبلنا الروح القدس".(١٣) ويقول مجدّدًا: "ما تزال الخطية حاضرة في كلّ النّاس المعمَّدين والقدّيسين على الأرض، ويجب عليهم أن يحاربوا ضدّها".(١٤)

> إنّ الخطيّة الأصليّة، بعد الولادة الثانية، مثل جرح يبدأ يلتئم؛ على الرغم من كونه جرحًا، مع ذلك فهو في طور الشفاء، وهو ما يزال يعمل وهو مؤلم ومحزن. إذًا، تبقى الخطيّة الأصليّة في المؤمنين حتى موتهم، مع ذلك هي تُمات وتموت باستمرار. يُحطَّم رأسها إلى قِطَع، وبذلك لن تستطيع أن تديننا.(١٥)

يحمي لوثر نفسه من التناقض. بالرغم من أنّ حضور الخطيّة يستمرّ واضحًا في "حياة المؤمن الحقيقي"، إلا أنّ هذه الخطيّة يجب ألا تكون "مرغوبة أو مفضَّلة". "وهكذا علينا أن نصوم ونصلي ونعمل ونخضع ونعيق الشهوة.... طالما أنّ الدم والجسد باقيان فالخطيّة باقية؛ لذلك يجب أن يُصارع ضدّها حتّى النّهاية".(١٦) تبدأ "جِدَّة الحياة" والتي تصير لنا من خلال المسيح، لهذا السبب، "فقط في هذه الحياة، ولكنّها لا يمكن أن تكمَّل في هذا الجسد".(١٧) ومع ذلك، يستمرّ الروح القدس في تنفيذ عمله المقدِّس في داخلنا، إذا صارعنا بأمانة ضدّ الخطيّة. "هكذا ننمو باستمرار في التقديس، ونصبح أكثر وأكثر خليقة جديدة في المسيح".(١٨)

وبوجهة نظر أفلاطونية كهذه، يجب على كالفن أن يتخلّص من صلوات بولس للكمال في المؤمنين في (١تسا٣: ١٣):

هـذه المقـاطع، فـي الواقـع، حرّفهـا فـي السـابق السيليسـتينيون (Celestines)، لإثبات كمال البرّ في الحياة الحاضرة. نعتقد أنّه من الكافي أن نجيب باختصار، مع أوغسطين، "أنّه يجب على كلّ تقيّ، في الحقيقة، أن يطمح ويتوق إلى ذلك الهدف، حتّى نظهر في يوم ما أنقياء طاهرين، وبلا لوم في محضر الله، لكن، بما أنّ أفضل امتياز نحصل عليه في هذه الحياة ليس أكثر من تقدّم باتّجاه الكمال، الذي سوف لن نبلغه أبدًا، إلى أن نُجرَّد من الموت والخطيّة، عندئذ سنلتصق تمامًا بالربّ".

مع ذلك، أنا لا أريد أن أصطدم باستمرار مع أولئك الذين ينسبون إلى القدّيسين صفة الكمال، بشرط أنْ يعرّفه بكلمات أوغسطين نفسه، الذي يقول:

"عندما نَصِفُ فضيلة القدّيسين بأنّها كاملة، فإنّ هذا الكمال يتضمّن عدم الكمال، في كلٍّ من الحقّ والتواضع".[٢٨]

تاريخيًا، كانت الكالفينية العدو المعلن لأي عقيدة في الكمال المسيحي. لكنّ العديد من الكالفينيين اعتنقوا عقيدة قداسة عملية، من خلال الامتلاء بالروح القدس. بينما ينكر هؤلاء المعلّمين إمكانية تدمير الخطيّة، فإنّهم يؤيّدون إمكانية حياة منتصرة على الطبيعة القديمة الباقية، لأولئك الذين يضعون أنفسهم تحت سيطرة وتوجيه الروح القدس الساكن فيهم. لكن، طالما أنّ المؤمنين يعيشون في جسد الموت هذا، عليهم أن يصارعوا ضدّ طبيعة الخطيّة

مع ذلك فإنّ كالفن حريص جدًا أن يتنصّل من كونه يدافع عن عقيدة الكمال المسيحي:

> أنا لن أصرّ على ضرورة مُطْلَقة أنْ تكون سلوكيات المؤمن مُشْبَعة بالإنجيل الكامل؛ والتي، يجب أن يرغبها المرء ويهدف للحصول عليها. لكنّني، لا أطلب من ذلك الكمال الإنجيلي، ألا يراعي المؤمن الذي لم يبلغ ذلك الكمال بعد؛ لأنّه عندئذ سيُطرد الجميع من الكنيسة، لأنّه لا يمكن أن يوجد إنسان حاصل على الكمال.(٢٣)

ليس من الصعب أن نكتشف السّبب لشروط كالفن في القداسة المسيحية. فهو يرى مع أوغسطين ولوثر أنّ المؤمن بدون رجاء وواقع في مصْيَدة الجسد. وهو يصرّ على "أنّ الخطيّة توجد دائمًا في القدّيسين حتى يجرّدوا من جسد الموت، لأنّ جسدهم هو مكان إقامة تلك الرغبة التي تبغض كل استقامة".(٢٤)

وبكثرة اقتباسه لأوغسطين، يؤسّس موقفه المتشائم حول فهمه للإصحاح السابع من الرسالة إلى أهل رومية، مؤكدا بثقة، "يتحدّث بولس هناك– أي في رومية ٧– عن إنسان مولود ثانية".(٢٥) في الواقع هذا "هو الصراع بين الجسد والروح الذي اختبره بولس في شخصه".(٢٦) ويشرح في فقرة يذكر فيها أفلاطون بالاسم، العقيدة البولسية عن الجسد بمصطلحات أفلاطونية: "طالما أنّنا نستوطن في سجن جسدنا، يجب أن نحافظ على الصراع مستمرًا ضدّ رذائل طبيعتنا الفاسدة".(٢٧)

الفصل التاسع

الكمال في فترة ما بعد الإصلاح

كانت أكثر الإنجازات تميّزًا في اللاهوت للمصلحين إعادتهم لعقيدة التبرير بالإيمان إلى مكانتها الصحيحة كأولوية. لا يستطيع المرء أن يصنع شيئًا لنفسه لينجز خلاصه. ليس هناك أي استحقاق يرتبط بأعمال الإنسان أو برّه؛ الخلاص بالنعمة وحدها، بالإيمان وحده، لمجد الله وحده. التبرير بالإيمان، حسب صياغة لوثر هو، "الأداة التي ترفع الكنيسة أو تسقطها".

لذلك من المستحيل أن نبالغ في مساهمة المصلحين في إعادة العقيدة الكتابية الأساسية للتبرير بالإيمان. لكن، كما يقول د. بول شيرر (Paul Sherer) عن بعض البروتستانتيين المحدثين في هذا القرن، "إذا كان التبرير بؤبؤ عيونهم، فالتقديس هو نقطتهم الميتة العمياء". وفي نصّ أدولف هارنيك (Adolph Harnack) المقتبس، "أهملوا كثيرًا جدًّا المشكلة الأخلاقية، كونوا قدّيسين لأنّي أنا قدّوس".[1] في ردّ فعلهم ضد ديانة الأعمال في كاثوليكية العصور الوسطى، ذهب المصلحون بعيدًا، وفشلوا في أن يعدلوا فيما يخصّ تعليم العهد الجديد عن الروح القدس، وعمله في التقديس.

القديمـة. والخطـأ فـي وجهـة النظـر هـذه، فـي رأينـا، فـي المطابقـة السّهلة بين الجسد نفسه والخطيّة. هذا الموقف أفلاطوني أكثر منه بولسي، يوناني أكثر منه مسيحي.

(Bernard of Clarvaux).[٢] ينشر سبينر في مؤلفه *Pia Desideria* مبادئ الحركة:

١- شرح الكتاب المقدس من قِبَل الوعاظ في صفوف تعليمية.
٢- العلمانيون هم كهنوت روحي (بحسب لوثر).
٣- معرفة الله في القلب وليست في الفكر.
٤- الصلوات من أجل شفاء الانشقاقات، ومن أجل ازدياد المحبّة.
٥- يجب أن يزداد اللاهوتيون في التقوى وفي العقيدة أيضًا.
٦- ليست العظات للدفاع عن العقيدة، بل لتهذيب وتنوير السامعين.

لقد كان تسامح سبينر استثناءً مميّزًا للدوغماتية (الجزمية) (Dogmatism) السائدة في عصره. وقد أصبح شعاره قولًا مشهورًا: "في الأساسيات اتّحاد، في الثانويات حرّية، وفي الكلّ محبّة".

كانت العلامة المميّزة للتقَويَة هي البحث عن القداسة الشخصية. رتّب سبينر الباحثين في إثر القداسة إلى درجات أطلق عليها *pietatis collegia* . كان تشديده على الولادة الجديدة أكثر من التبرير. وهو يصرُّ على أنّ الدليل على تبرير المرء أمام الله، هو الطاعة المُحِبَّة والرغبة بالقداسة. شدّد سبينر على المسيح فينا أكثر من المسيح لأجلنا، وعلى الشركة مع الله أكثر من المصالحة مع الله. يقدر المرء الذي يولد من الله، بنيَّة صافية، أن يحفظ ناموس الله بشكل كامل، ذلك لأنّ ما يطالب به الله، ليس معرفة كاملة بل

والنتيجة مالت للتشديد على الأرثوذكسية، إلى حدّ الإهمال في عقيدة سليمة للقداسة والمسيحية الروحية.

ألهذا السبب لم ترافق الإصلاحَ نهضةٌ روحيةٌ واسعةُ الانتشار؟ كان الأساس هناك، بكلّ تأكيد، لكن النهضة تُركَت لمجموعات مثل التقَويين الألمان (German Pietists) ، والموارفيين (Moravians)، والكويكرز أو جمعية الأصدقاء (Quakers) ليحاولوا إنشاء البنية الفوقية لكنيسة ممتلئة بالروح. لقد كانت خسارة عظيمة للكنيسة، في أنّ لوثر وكالفن لم يكونا قادريْن على تجاوز نظرتهم الأوغسطينية المتشائمة فيما يتعلّق بإمكانيات عمل النعمة. بفشلهم في تطوير تعليم مفصّل حول التقديس، ترك المصلحون فجوة روحية في البروتستانتية.

أ- التقوية (Pietism)

يُعْتَـبَر فيليـب جيكـوب سـبينر (Philipp Jakob Spener ١٦٣٣-١٧٠٥) "أب" التقوية، حركة التجديد الروحي بين اللوثريين في ألمانيا. حصَّل سبينر إلهامه، تباعًا، من كتاب أرنت (Arndt) *Wahren Christentum*، وهو من الأعمال الأولى التي شدّدت علـى ضـرورة الـولادة الثانيـة، والحاجـة لـربط الصـوفية بـالأخلاق العملية. وفي خلفية التأثير على اللاهوت الكامل للتقوية، يقبع كتاب "Jesus-mysticism" لمؤلفه برنارد من كليرفو ....

العقيدة الكويكرية، ذاك التميُّز بين كلّ أنواع التعاليم من القرن الثالث إلى الثامن عشر، أنّها عادت بإخلاص من كلّ القلب، إلى موقف العهد الجديد".[٧]

علَّم "فوكس" من البداية، أنّ الاستنارة الداخلية تعني العتق من الخطيّة. ويسجّل في وقت ليس ببعيد بعد صحوته الدّينيّة اختبارًا ثانيًا، حصل في ١٦٤٨، عندما كان في الرابعة والعشرين من عمره:

> عبرْتُ بالروح خلال السيف الملتهب، إلى جنّة الله. كلّ الأشياء كانت جديدة، وشممْتُ رائحة الخليقة بصورة لم أعهدها من قبل، بِوَصْفٍ يفوق الكلام. لم أعرف شيئًا إلاّ أنّ الطهارة والبراءة والبرّ، تتجدّد على صورة الله بالمسيح يسوع، لذلك أنا أقول أصبحت في الوضع الذي كان آدم عليه قبل أن يسقط.[٨]

ويتابع قائلًا أنّه "رُفِع بالروح، ليعاين حالة أكثر ثباتًا من حالة آدم في براءة، حالة في يسوع المسيح لن تسقط أبدًا". كان هذا موقفًا مُتطرّفًا، وقد عُدِّل من قِبَل الكتّاب الكويكريين، لكن بالنسبة لفوكس نفسه، كان هذا الاختبار مَدخَلًا لِما أصبح بوضوح، حالة من الانتصار الثابت الدائم على الخطيّة.

وبعد سنتين قال من سجنه في ديربي (Derby) لأساتذة مُتعدّدين أتوا ليدافعوا عن الخطيّة وعدم الكمال:

> إذا كان إيمانكم صحيحًا فسيعطيكم انتصارًا على الخطيّة والشيطان، وسينقّي قلوبكم وضمائركم، ويجعلكم تسرّون الله، ويوصلكم إليه مجدّدًا. لكنّهم لم يقدروا أن يحتملوا سماع النقاء والانتصار على الخطيّة

بساطة في الدافع. هكذا، فالمحبّة هي تتميم الناموس. إذًا الكمال المسيحي أمر نسبي، وعملية تدريجية ستنتهي في الحياة الأخرى.

كان خليفة سبينر، فرانك (A.H.Franke ١٦٦٣-١٧٢٧)، و كان تعليمه عن الكمال المسيحي لوثريًا بشكلٍ نموذجي. شدَّد فرانك على التقديس، لكنّه كان مندمجًا ومختلطًا مع التبرير.[٤] في عمله الذي يحمل عنوان: (The perfection of the Christian)، يصف فرانك ثلاث مراحل في طريق المؤمن تجاه الهدف النهائي. في التقدّم تجاه الكمال، فإنّ المرء ينتقل من الطفولة إلى مرحلة الشباب ثمّ إلى مرحلة الرجولة الروحيّة. العلامة الحاسمة للنضج الروحي هي القدرة على التمييز بين الخير والشر (عب٥: ١٤).[٥]

ب- الكويكرية أو جمعية الأصدقاء (Quakerism)

هناك بعض الحق في ادّعاء توماس كارليل (Thomas Carlyle) أنّ جورج فوكس (١٦٢٤-١٦٩٠) كان "بروتستانتي البروتستانتيين". ويفكّر "فلو" أنّ تعليمه يُعتبَر، "الحصيلة المنطقية للمفهوم اللوثري للإيمان"، كثقة الإنسان المطلقة في المسيح. عقيدته في الاستنارة الداخلية، ليست التبرير بالإيمان نفسه، لكنّها ترفع إلى المستوى الأسمى، الإحساس بالمسؤولية الشخصية المدّخرة في العقيدة.[٦] ويعتقد "فلو" أنّ "فوكس" يذهب أعمق من المصلحين في البصيرة الروحية والأخلاقية، "وقد عمل بشكلٍ دقيق جدًّا بمقتضى تعليمه عن الكمال". بعد ذلك يقدّم "فلو" ادّعاءً قويًّا للغاية: "لدى

تسقط"، بالطبع متشدّدًا لأقصى حدّ وغير كتابي. وأُثبتت زلّة جيمس نايلر (James Nayler) كونها عائقًا عظيمًا، وبعد ذلك بحث كتّاب كويكريين بشكل خاصّ، ليحموا تعليم فوكس من التعصّب. ويصف وليام بن (William Penn) بحذر العقيدة بهذه الطريقة:

لأنّنا دافعنا بقوّة عن ضرورة الحرّية الكاملة من الخطيّة، والتقديس الشامل في الجسد والنفس والروح، في هذه الحياة، بواسطة عملية لروح ربّنا يسوع المسيح القدّوس والكامل، وِفْقًا لشهادة الكتاب المقدس، فقد صرنا، متجرّئين في تأكيدنا، أنّ الكمال والسعادة الكاملة يمكن بلوغهما في هذه الحياة، في حين أنّنا لسنا واعين فقط لتلك العيوب البشرية التي تلازمنا، لأنّنا نلبس اللحم والدّم، ولكن نعرف أنّنا هنا، نقدر أن "نعرف جزئيًا ونرى جزئيًا": أنّ كمال الحكمة والمجد والسعادة، سيُحْفَظ لنا لعالم آخر أفضل.(١٣)

أصبح روبرت باركلاي (Robert Barclay) اللاهوتي الرسمي للكويكرية . وهو يقدّم في ملاحظتيه الثامنة والتاسعة، عقيدة متوازنة في الكمال المسيحي:

الذي فيه يُثمِر هذا الميلاد النقي والمقدّس، ويأتي جسد الموت والخطية ليُصلَب ويُزال، وقلوبهم توحّدت وخضعت للحق؛ لذلك لن يطيعوا أي اقتراحات أو إغراءات الشرير، بل سيتحرّرون من الخطايا الفعلية والتعدي على ناموس الله، ومن هذه الناحية يكونون كاملين: لكنْ هذا الكمال يسمح بالنمو، ويُبقي دائماً احتمالية للخطيّة في بعض النواحي، حيث لا يصاحب الفكر ربنا يسوع بيقظة واجتهاد.(١٤)

مع أنّ هذه العطيّة ونعمة الله الداخلية كافية لإنجاز الخلاص، لكن في أولئك الذين يقاومونها ستصير سبب إدانتهم. وعلاوة على ذلك، أولئك

والشيطان: حيث قالوا أنّهم لا يؤمنون، أنّ أي أحد يقدر أن يصير حرًّا من الخطيّة وهو على قيد الحياة.(٩)

العقيدة المقبولة في الماضي لم تقدر أن تعطي مكانًا لعقيدة مثل الّتي لفوكس. كان إيمان أوغسطين بعدم إمكانية إزالة جذر الخطية من الإنسان يسيطر على اللّاهوت الانكليزي بكلّ مدارسه. أن تكون النظرة المتشائمة لأوغسطين ملائمة لهم، لَهُو حالة أخلاقيّة وروحيّة منحطّة ومثيرة للشفقة في الأرض. ونحن نفهم أن يكتب فوكس بعد إعلان خاص من الربّ: " أراني أنّه ليس للكهنة الإيمان الصحيح، الذي أسّسه المسيح؛ ذاك الإيمان الذي ينقّي ويعطي الانتصار، يعطي الناس دخولًا إلى الله، وبذلك يسرّون الله".(١٠)

بعد استنارات روحية أخرى، صار إحساس فوكس بالمهمّة أكثر وضوحًا:

لقد كان ذلك لينقذهم من كلّ أنواع الشركة والصلاة والترانيم التي أصبحت شكليّات خالية من القوة، ذلك أنّ شركتهم يجب أن تكون مع الروح القدس، وفي روح الله الأبدي؛ حيث يمكنهم أن يصلُّوا بالروح القدس ويرنّموا بالروح أيضًا، وبالنعمة التي تأتي من يسوع.(١١)

ويلاحظ س. هينشو (C.E.Hinshaw) أنّ، في ذهن فوكس، "ليس الخلاص مجرّد استثناء من العقاب بسبب الخطيّة، ولكنّه يكمن في أن تكون محرّرًا من قوّة وسلطان الشرّ.... برّ المسيح ليس عباءة أو غطاء ليستر تشويه الخطيّة، ولكنّه ينبوع المياه الحيّة لينقّي نفوسنا".(١٢)

كان تعليم فوكس أنّه يمكن إعادة المؤمن إلى براءة وطهارة آدم قبل السقوط، "وحتى إلى حالة يسوع المسيح التي لا يمكن أن

وغفرانه. تاجها الوداعة، حياتها محبّة أبدية صادقة غير متكلّفة؛ تأخذ ملكوتها بالتضرّع والاستعطاف، وليس بالنزاع والنضال، وتحافظ عليه بتواضع الفكر.(١٨)

ج- المورافية (Moravianism)

المورافيّون، أو الإخوة المتّحدون (*Unitas Fratrum*) كما يفضلون أن يسَمَّوا، هم من سلالة التابوريين (Taborites)، وهي فرع متشدّد من تلاميذ جون هس (John Huss) استقرّوا في العشرينات من القرن الثامن عشر، في منطقة نيكولاس لودويج (Nicolas Ludwig)، كونت* زنزندورف، في هيرنهت (Herrnhut)، ألمانيا. هناك اتّحدوا مع مجموعة أخرى من اللّاجئين، هي مجموعة شفنكفيلدرز (Schwenckfelders)، وبعد تسوية عدد من القضايا العقائدية، تبنّوا معهم *Ratio Disciplinae of Comenius*.

في صيف عام ١٧٢٧، اختبرت جماعة هيرنهت انسكابًا مميّزًا للروح القدس. اعتبروه يوم خمسين آخر، وميلادًا للكنيسة الناهضة. قسّموا أنفسهم إلى مجموعات صغيرة للتّهذيب الرّوحي، وابتدأوا على الفور بإرسال مرسَلين، خمسين عامًا قبل كاري وحركة الإرساليات الحديثة. لقد كانت مجموعة من أولئك المرسلين هم الذين شهدوا لأوّل مرة لجون وسلي في رحلته إلى جورجيا، عن الخلاص بالإيمان

---

*لقب نبيل

الذين عملت في قلوبهم إلى حدّ ما لتطهيرهم وتقديسهم لمستوى كمال أعمق، من الممكن، بالعصيان، أن يسقطوا منها، محوّلين إياها إلى فسق وخلاعة، ويحطّمون إيمانهم، وبعدما ذاقوا الموهبة السّماوية وصاروا شركاء الروح القدس، هؤلاء سقطوا ثانية، ولكن هذا الازدياد والثبات في الحق، يُمكِن بلوغهما في هذه الحياة، والذي منه لن يكون هناك ارتداد تام.(١٥)

لقد كان المجد الأسمى للعقيدة الكويكرية، أنّها وجدت مركزها في صليب المسيح. وهناك وجد جورج فوكس القوّة لتلك المحبّة التي لا تكلُّ والتي هي الحياة الكاملة.... كانت جملة فوكس المفضّلة: "الصّليب هو قوّة الله". "الكفّارة كانت داخلية".(١٦)

الآن وقد عرفتم قوّة الله وأتيتم إليها– والتي هي صليب يسوع المسيح، الذي يصلبكم عن الحالة التي كان فيها آدم وحواء، في السقوط، وكذلك عن العالم، وبواسطة قوّة الله هذه فإنّكم تأتون لتروا تلك الحالة التي كانا عليها قبل السقوط، تلك القوة هي صليب المسيح، ويقوم عليها المجد الأبدي؛ وهي تربّينا على البرّ والقداسة وعلى صورة الله، وتصلب الشرّ والنجاسة وصورة الشيطان.(١٧)

بعودته إلى صليب المسيح فإنّ كلمات المجدّد جيمس نايلر على فراش الموت تنشر تعليم الكويكريين بتوازن جميل:

هناك روح أشعر أنّها لا تتمتّع فقط بعدم فعل الشرّ، أو أن تتنقم عن أي خطأ، لكنّها تتمتّع في أنها تحتمل كلّ شيء.... رجاؤها أن تسلّم كلّ حنق ونزاع، وأن تهلك كلّ مجد وقسوة، أو أي شيء في الطبيعة يتناقض مع ذاتها. فهي ترى نهاية كلّ التجارب. ولأنها لا تحمل أي شر في ذاتها، فهي لا تحمل شيئًا من الأفكار الشريرة لغيرها. إذا تعرّضت للخيانة فهي تتحمّلها، لأنّ أساسها وينبوعها رحمة الله

هي الكلمة التي طال بحث وسلي عنها، وقد قسَّمها في اللاتينية كلمة بكلمة، وترجمها كالتالي:

ضع ثقتك في دم المسيح. ثقة قوّية بالله، واقتناع بحبّه؛ سلام صافٍ وهدوء ثابت للعقل، مع تحرير من كلّ رغبة جسدية، ومن كلّ خطيّة داخلية وخارجية. وخلاصة القول أنّ قلبي الذي كان مضطربًا كاضطراب موج البحر، وكما يتقاذف الموج السفينة، صار هادئًا مستقرًا في سكون رائع".(٢١)

لقد تعلّم من مايكل لينر (Michael Linner) "أكبر شيوخ الكنيسة"، ومن كرستيان ديفيد (Christian David) كيفية التمييز بين المؤمن المبرّر والمؤمن الحاصل على التقديس الكامل. ويكتب وسلي مشيرًا إلى وعظ لينر:

لقد وصف مرارًا حالة أولئك "الضّعيفي الإيمان" الّذين هم مبرّرون، ولكن لم يحصلوا بعد على قلب جديد نقي؛ الّذين قبلوا الغفران من خلال دم المسيح، ولكن ليس لديهم السكنى الثابتة للروح القدس...

وفي وقت آخر... عرض طبيعة الحالة الوسطية، والتي يختبرها كثيرون بين تلك العبودية الموصوفة في الفصل السّابع من الرسالة إلى رومية، والحرّية المجيدة لأولاد الله في الفصل الثامن من الرسالة نفسها، ومقاطع أخرى كثيرة في الكتاب المقدس.... هو يشرح المقاطع الكتابية التي تصف الحالة التي كان عليها الرسل قبل حلول الروح القدس في يوم الخمسين.(٢٢)

وحده. منجذبًا لهم بروح العهد الجديد الواضحة لديهم، حافظ وسلي على أواصر وطيدة مع أولئك المورافيين لمدّة سنتين أثناء خدمته في أميركا. وعندما عاد إلى لندن في عام ١٧٣٨، قابل مورافيًا آخر هو بيتر بوهلر (Peter Bohler)، الذي أثبت أنّه أداة الله التي أظهرت لوسلي الطبيعة الحقيقية للإيمان الذي يبرّر. وقد شجّع وسلي حاثًا إيّاه، "عِظْ عن الإيمان حتّى تحصل عليه، وبعد ذلك، لأنّك حصلت عليه فستعِظ عنه".(١٩)

متّبِعًا وصيّته، بدأ وسلي يعظ عن الإيمان. وبعد شهرين، في مساء ٢٤ أيار، اختبر وسلي دِفْئًا قلبيًا ملحوظًا في اجتماع الجماعة، وهي على الأرجح جماعة مورافية، في اجتماع عُقد في شارع أولدرزغيت في لندن. ويعلّق وسلي في *مجلّته*، "لقد وثقت بالمسيح، بالمسيح وحده للخلاص"، ويكتب وسلي في مذكّراته؛ "وأُعطِيت تأكيدًا أنّ يسوع قد طرح خطاياي بعيدًا بل طرحني أنا، وأنّه خلّصني من ناموس الخطيّة والموت".(٢٠)

ومن خلال المورافيين أيضًا، قابل وسلي لأوّل مرّة "أشخاصًا خُلِّصوا من الخطيّة الداخلية كما الخارجية". وفي زيارة شخصية إلى هيرنهت في آب من عام ١٧٣٨، حيث ذهب ليتحدّث مع تلك الشهادات الحيّة لقوّة الإيمان الكاملة، قابل وسلي في تلك الزيارة أرفيد جرادين (Arvid Gradin)، والذي أعطاه أوّل تعريف "لتأكيد الإيمان الكامل" لم يسبق له أن سمعه من "أي إنسان آخر". هذه

وكان يجلس هناك بجوارنا بعض من إخوتنا وأخواتنا [الميثودستيين]، فتكلّموا عمّا اختبروه. فقال لهم بانفعال كبير، ويده تهتز بشدّة، "أنتم جميعًا تغشّون أنفسكم. لا يوجد حالة أكثر من الّتي وصفتها. أنتم في خطأ خطير فِعلًا. أنتم لا تعرفون قلوبكم، أنتم تتوهّمون أنّ الفساد قد أُزيل منكم، لكنّه مُغَطّىً فقط. فسادنا الداخلي لا يمكن أن يُزال إلى أن تنزل أجسادنا في التراب".(٢٣)

وفي أيلول من عام ١٧٤١، كان زنزندورف في لندن والتقى وسلي. وتحادث الرجلان عن موضوع الكمال، وقد سجّل وسلي تلك المحادثة في اللّاتينية. والتالي هو ترجمة للفقرات الرئيسية:

زنزندورف. أعترِف أنّه لا يوجد كمال فطري أو متأصّل في هذه الحياة. هذه قمّة الأخطاء. لقد لاحقته من خلال العالم بالسيف والنار.... المسيح هو كمالنا الوحيد. أي شخص يتبع الكمال الفطري أو المتأصل ينكر المسيح.

وسلي. لكنّي أؤمن أنّ روح المسيح يعمل ذلك الكمال في المؤمنين الحقيقيين.

زنزندورف. بأي حال. إنّ كمالنا جميعًا هو في المسيح. كلّ إيمان المسيحي هو الإيمان بدم المسيح. إنّ كمالنا المسيحي منسوب لنا، وهو ليس متأصّلًا. نحن كاملون في المسيح، ولسنا أبدًا كاملين من أنفسنا.

وسلي. أظنّ أنّنا نختلف بالكلمات.

لكن الفرق الرئيسي بين وسلي وزنزندورف يصبح واضحًا في الفقرة التالية:

وسلي. أنا لا أعني بالكمال غير أن [تحبّ الربّ من كلّ قلبك].

زنزندورف. لكن هذه ليست قداسة المؤمن. فلن تزيد قداسته إن أحبّ أكثر، ولن تنقص قداسته إن أحبّ أقلّ.

وسلي. ماذا! أليس إن ازداد المؤمن في محبّته، تزداد قداسته بشكل متساوٍ؟

زنزندورف. أبدًا على الإطلاق. في اللّحظة التي يتبرّر فيها، فإنه يتقدّس بالكامل. من ذلك الوقت لن تزداد أو تنقص قداسته، أيضًا حتّى الموت.

مع ذلك لم يشدّد المورافيّون على العقيدة، ولم يكن من السهل التحقّق من معتقداتهم. واجه وسلي في نقاشات عقائدية لاحقة مع المورافيين اختلافًا في الآراء في فهم الكمال، والذي عكس التأكيدات التقليدية اللوثرية الإصلاحية.

بعد ثلاث سنوات من اختباره في ألدرزجيت، في أيار من عام ١٧٤١، قضى وسلي عدّة ساعات في حوار مع بوهلر (Bohler) والسيد سبانجنبيرغ (Spangenberg). الخليقة الجديدة كانت واحدة من المواضيع. وقد كان وصف سبانجنبيرغ لها كالتالي:

> اللحظة التي نتبرّر فيها، توضع خليقة جديدة في داخلنا. وهو ما يُصْطَلَح تسميته بالإنسان الجديد.
>
> لكن، ومع ذلك، يبقى الإنسان العتيق أو الخليقة القديمة في داخلنا حتّى نموت.

وفي ذلك الإنسان العتيق يوجد قلب ذو طبيعة قديمة، فاسد وبغيض مقيت. ويبقى الفساد الداخلي في نفسنا طالما النفس باقية في جسدنا. ولكن القلب الذي في إنساننا الجديد نقيّ. إنساننا الجديد أقوى من العتيق؛ لذلك حتّى لو حارب الفساد باستمرار، فلن يقدر أن يسود، إذا كنّا ننظر للمسيح.

وقد سألته، أما زال الإنسان العتيق فيك؟ فقال: "نعم؛ وسيظلّ ما دمت حيًّا". فقلت "هل هناك، إذًا، فساد في قلبك؟ فأجاب: "نعم يوجد في قلب إنساني العتيق، ولكن ليس في قلب الإنسان الجديد. فسألت "هل اختبار إخوتك يتّفق مع اختبارك؟"، فأجاب "أنا أعرف أن ما تكلّمت به الآن هو اختبار جميع الإخوة والأخوات في كنيستنا".

الفصل العاشر

العقيدة الوسلية في الكمال

يقول جورج كروفت سل (George Croft Cell): "إنّ إعادة البناء الوسليّة للأخلاق المسيحية للحياة، هي تركيب أصيل وفريد للأخلاق البروتستانتية للنّعمة مع الأخلاق الكاثوليكية للقداسة". أعيد في فكر وسلي اتّحاد التأكيد الديني المميّز للعقيدة البروتستانتية في مراحلها الأولى للتبرير بالإيمان، كما في العهد الجديد، مع اهتمام خاصّ للفكر الكاثوليكي والتقوى في مفهوم القداسة والكمال الإنجيلي.(١)

يؤكّد "سِل" باقتناع أنّ "الحنين إلى القداسة"، الشّوْق إلى مشابهة المسيح، والّتي سَبَتْ خيال القديس فرانسيس الأسيزي، تشكّل "اللّبّ الأعمق للمسيحية". إنّها بدقّة تلك "اللّهجة المفقودة في المسيحيّة" والتي كانت لا تحظى بالاهتمام في البروتستانتية في مراحلها الأولى. ويقتبس سل موافقًا ملاحظة "هارناك" أنّ اللوثرية، في فهمها الدّيني النقيّ للبشارة، أهمَلت كثيرًا المشكلة الأخلاقية، *كونوا قديسين لأني أنا قدّوس*. ويكمل "سل": "هنا يصعد وسلي إلى أعالي الجبال. لقد أعاد عقيدة القداسة المهملَة إلى مكانتها التي تستحقها في الفهم البروتستانتي للمسيحية".(٢)

وسلي. ألسنا، بينما ننكر أنفسنا، نموت أكثر وأكثر عن العالم ونحيا لله؟

زنزندورف. نحن نرفض كلّ إنكار النفس. نحن ندوس عليها. لا يوجد تطهير يسبق المحبّة الكاملة.(٢٤)

بعد هذه المحادثة، قام وسلي بفصل جماعته من الميثودست عن جمعية فيترز لاين (Fetters Lane Society)، حيث كانوا يشتركون مع الموارفيين؛ ولكن حتى نهاية أيّامه اعترف وسلي بفضلهم عليه، وبأنّه مدين لهم، وقد حوى كتابه "كونوا كاملين" شهادة أرفيد غرادين المذكورة سابقًا، "لقد كانت تلك المرة الأولى الّتي أسمع فيها من إنسان هذا الوصف الذي تعلّمته من الوحي الإلهي، وصلّيت لأجله (مع مجموعة صغيرة من أصدقائي)، وتوقّفت الاستجابة لسنوات عدّة ".(٢٥)

إنهم يحافظون، بحماسة واجتهاد متساويين، على عقيدة التبرير الحرّ، الكامل والحاضر، من جهة، ومن جهة أخرى، على التقديس الكامل للقلب والحياة؛ متمسّكين بالقداسة الداخلية مثل أي متصَوّف، ومن الخارج كأي فريسي.(٤)

يقول د. سل أنّ عبقرية التعليم الوسلي في أنّه لم يفصل ولم يخلط بين التبرير والتقديس ولكنّه "شدّد بشكل متساوٍ على كلّ منهما".

أ. الصيغة الوسلية

عقيدة وسلي في شكلها الكامل منشورة في كتابه "كونوا كاملين" والذي ظهر لأوّل مرة في عام ١٧٦٦. وقد حافظ الكتاب في طبعته الرابعة، عام ١٧٧٧، على نصّ حاسم ومحدّد لموقفه. ويحتوي هذا الكتاب على اقتباس كامل تقريبًا، لكلّ ما كتبه وسلي عن موضوع الكمال المسيحي قبل نشره. توجد هنا العقيدة الوسلية كما أعلنها ودافع عنها. أثناء قراءة هذا الكتاب، يجب أن يتذكّر المرء أنّ وسلي يصف فيه تقدّم فكره، والاقتباسات من مراحله المبكرة لا تمثل بالضرورة موقفه النهائي. إنّنا نكتشف في الأجزاء الأخيرة من ذاك العمل نفاذ البصيرة الوسلية الناضجة في موضوع الكمال المسيحي. ويوجد في الصّفحات الختامية من الكتاب ملخّص مكوَّن من ١١ نقطة يقدّمه وسلي، وهو عرض بليغ بارع الإيجاز للعقيدة:

١- هناك أمر اسمه الكمال، والدليل أنّه ذُكر مرارًا وتكرارًا في الكتاب المقدس.

من منظور المسيحية التاريخية، لهذا السّبب، العقيدة الوسلية في الكمال المسيحي ليست لاهوتًا ساذجًا. إذا دمجنا التبرير والتقديس، الخطيّة الأصليّة والكمال المسيحي، فإنّ ذاك الدّمج سيعيد رسالة العهد الجديد إلى كمالها الأصلي. لقد لمح وسلي الوحدة الأساسية في الحق المسيحي في التقاليد الكاثوليكية والبروتستانتية كليهما".[٣]

لقد فهم وسلي رسالته بهذه الطريقة. في عِظته "عن كرمة الله" يقول:

> لقد لوحظ بشكل متكرّر، أنّ قليلين كانوا واضحين في حكمهم بالنظر إلى التبرير والتقديس. مَنْ كتب ببراعة أكثر من مارتن لوثر عن التبرير بالإيمان فقط؟ ومن كان الأكثر إهمالًا لعقيدة التقديس، أو الأكثر تخبّطًا في مفاهيمه لها؟ ... ومن ناحية أخرى، كم كان عدد الكتّاب الكاثوليكيين من أمثال (فرانسيس سال، وخوان كاستينيزا على وجه الخصوص) الذين كتبوا بقوّة وعلى أساس كتابي عن التقديس، والذين مع ذلك، لم يكونوا ملمّين بطبيعة التبرير تمامًا! لأنّ علمائهم في مجلس ترنت... قد خلطوا بشكل كامل التقديس والتبرير معًا. لكن فرح الله أن يعطي الميثودست معرفة واضحة وكاملة عن كليهما، وكذلك الفارق الكبير بينهما.
>
> نحن نعلم، في الواقع، أنّه في الوقت نفسه الّذي يكون فيه الإنسان مبرّرًا، يبدأ على الأرجح التقديس. لأنّه عندما يكون مبرّرًا، فهو "مولود ثانيةً"، "مولود بالروح القدس"؛ والتي، بالرغم من أنّها (كما يفترض البعض) ليست العملية الكاملة للتقديس، إلّا أنّها بلا شك البوابة للتقديس. وبطريقة مماثلة، أعطى الله [الميثودست] رؤية واضحة.

١١- لكن هل هو بذاته فوري أم لا؟... من الصّعب أن ندرك اللحظة التي يموت فيها شخص: لكن هناك لحظة عندما تتوقّف الحياة. وإذا كانت الخطيّة تتوقّف، فإنّه من المؤكّد أنّ هناك لحظة أخيرة في وجودها، ولحظة أولى لتحريرنا منها.(٥)

هذه هي المعالم البارزة للتعليم الوسلي. لكن للعقيدة تاريخ قديم ومستمرّ، كما رأينا، لذا فهي لا تُصَنَّف على أنّها عقيدة وسلية مجرّدة. ربّما يكون جون وسلي الأوّل في إنكاره لمثل هذا الاقتراح. كما لاحظ "سل"، لقد وجد حقّ الكمال "في أساس وقاعدة" الكتاب المقدس. استثير بحثه الفوري بقراءته كتاب توماس كيمبس *Imitation of Christ*، وكتاب المطران جيريمي تايلور *Rules and Exercises of Holy Living and Dying* وكتابَيْ وليام لو *Christian Perfection* و *Serious Call to a Devout and Holy Life*.(٦) لكن قبل وسلي، وأولئك الكتّاب الّذين أشعلوا رغبته للقداسة بوقت طويل، عرض الآباء اللاتينيون واليونانيون العقيدة بشكل موسّع، كما كان غرض هذا الكتاب أن يبيّن ذلك. في صياغته لعقيدته في الكمال، نَهَلَ جون وسلي من أغنى وأعمق مياه في التقليد المسيحي. واستنتاج د. فلو بالتأكيد عادل:

> عقيدة الكمال المسيحي- والتي لم تفهم على أنّها تأكيد أنّ البلوغ النهائي للهدف في الحياة المسيحية مُمكن في هذه الحياة، لكن على أنّها إعلان أنّ مصيراً فوق طبيعي، وبلوغ نسبي للهدف لا يستثني

٢- لـيس الكمـال مبكـرًا جـدًّا كـالتبرير؛ حيـث أنّ الأشـخاص المبرّرين يتقدّمون إلى الكمال (عب٦: ١).

٣- وهو ليس متأخّرًا أيضًا كالموت؛ لأنّ القدّيس بولس يتكلّم عن أناس أحياء أنّهم كملوا (في٣: ١٥).

٤- الكمال ليس مُطْلقًا. فالكمال المُطْلَق ليس للإنسان، ولا حتّى للملائكة، فهو لله وحده.

٥- إنّه لا يجعل الإنسان معصومًا عن الخطيّة: لا أحد معصوم، وهو ما يزال في الجسد.

٦- أهو بـلا خطيّـة؟ إنّـه لا يستحـقّ أنْ نتـنافس حـول مُصْطَلح. إنّه يعني "الخلاص من الخطيّة".

٧- إنّـه "المحبّـة الكاملـة" (١يو٤: ١٨). هذا جوهره؛ خصائصه وثماره المتلازمة هي الفرح المستمرّ، الصّلاة دون توقّف، وأن نشكر في كلّ شيء (١تسا٥: ١٦).

٨- إنـه غير قابل للتحسّن. إنّـه بعيد من أن يقع في نقطـة غير قابلـة للتجزئـة، ومـن أن يكـون غيـر قابـل للزيـادة، ذلـك أنّ الشـخص المكمّـل بالمحبّـة، ينمـو بالنّعمـة بشـكل أسـرع ممّـا كـان يفعـل فـي السّابق.

٩- إنّـه قابـل أنْ يـنقص، يمكـن أن يُفقَد؛ ولـدينا عـن ذلـك شـواهد عديدة.

١٠- إنه يُسبَق ويُتبَع بشكلٍ ثابت، بواسطة العمل التدريجي.

الإنسان لمحبّة الله الأولى. التقديس بالنسبة لوسلي، كالتبرير، هو عمل الله من البداية إلى النهاية. التبرير هو ما عمله الله من *أجلنا* من خلال المسيح؛ والتقديس هو ما عمله الله *فينا* بالروح القدس. "كلّ الأشياء لله، الذي صالحنا لنفسه بالمسيح يسوع". هذه المركزية الإلهية التامّة، تحرّر عقيدة وسلي في الكمال، من ميولها الصّوفية والبشرية، والتي توجد في معظم الصِيَغ الكاثوليكية.

علاوة على ذلك، تجاوز وسلي بذلك، المشاهد المثيرة للاعتراض في عقيدة أوغسطين عن الخطيّة الأصليّة. يقول في كتابه كونوا كاملين، "سقط آدم؛ فصار جسده غير القابل للفساد، قابلًا للفساد، ومنذ ذلك الحين، والسقوط عائق للنفس، يعيق فاعليّتها وقِواها".(١١) والأمر المفقود هو الفكرة الأفلاطونية بأنّ الجسد شرّير وتشديد أوغسطين على الرغبة الملحّة للخطيّة، وعلى المطابقة بين الطبيعة البشرية مع الطبيعة الخاطئة. إنّ معنى الجسد، بالنّسبة لوسلي، في رومية ٧ هو "الإنسان ككلّ كما هو في الطبيعة"،(١٢) (من دون المسيح)، متضمّناً "القوّة الداخلية المقيِّدة للأهواء الشرّيرة والرغبات الجسدية.(١٣) إنّ جوهر الخطيّة الأصليّة ليس الشهوة، بل "الكبرياء، حيث نسرق حقّ الله غير القابل للتحويل لأي شخص، ونغتصب مجده.(١٤) إنّ خطايا الجسد، هي بمثابة أطفال الكبرياء وليست الأصل؛ ومحبّة الذات هي الجذر وليست الغصن، لكلّ الشرّ".(١٥)

النمو، وهو إرادة الله لنا في هذه الحياة، وهو قابل البلوغ – لا تقع على الطرق الفرعيّة للّاهوت المسيحي، بل هي على الطرق الرئيسية.(٧)

مع ذلك، أعطى جون وسلي العقيدة إنطلاقة جديدة بالكامل. تتّضح أصالته بشكل رئيسي، في الطريقة التي وضع فيها حق الكمال، في المركز الفعلي للفهم البروتستانتي للإيمان المسيحي. لقد حرّر الفكرة من أي مفهوم شخصي للاستحقاق، وقدّمها ككلّ على أنّها عطيّة نعمة الله. المحبّة الكاملة قابلة البلوغ الآن، بواسطة الإيمان البسيط.

وبسبب إدراك وسلي الواضح لهذا الأمر، شكّك كولن وليامز (Colin W. Williams) في ادّعاء "سل"، أنّ لاهوت وسلي هو "تركيب للأخلاق البروتستانتية للنعمة مع الأخلاق الكاثوليكية للقداسة".(٨) في الأخلاق الكاثوليكية يرتبط الاستحقاق بالقداسة، لكن وسلي أزال العقيدة كليًّا، من إطار الاستحقاق إلى إطار النّعمة. نظرته للتقديس بالإيمان فقط. ويقول جوردن راب (Gordon Rupp) أنّ هذا ما أعطى العقيدة الوسلية شكلها وترابطها.(٩)

إنّ الجوهر الحقيقي للكمال من وجهة نظر وسلي، هو *Agape* أي المحبّة الإلهية للإنسان. و "بؤرته المشتعلة" كفّارة المسيح. "وتكمن المحبّة الغافرة المسامحة في جذره".(١٠) واحدة من أكثر الآيات الكتابية اقتباسًا، الآية في يوحنا الأولى، "نحن نحبّه لأنّه هو أحبّنا أوّلًا". المحبّة لله ليست المحبّة الطبيعية *eros*، لكنّها استجابة

قداسة يُحكَم عليها بالمعايير الأخلاقية الموضوعية، ولكنّها قداسة بلغة العلاقة غير المكسورة مع المسيح القدّوس. المؤمن الكامل مقدَّس، ليس لأنّه وصل إلى معايير أخلاقية ضرورية، لكنْ لأنّه يعيش في هذه الحالة من الشركة غير المقطوعة بالمسيح".[١٨]

هذه هي العقيدة البروتستانتية في الكمال. الإيمان هو الكمال. لكن الكمال ليس منسوبًا فقط، بل هو ممنوح أيضًا. من خلال الإيمان المقدِّس، يختبر المؤمن الامتلاء بمحبّة الله بعطية الروح القدس (رو٥: ٥)، وبذلك يتم تطهير القلب(أع١٥: ٨-٩). أصرّ وسلي، "أنّ التقديس الكامل ليس أقلّ أو أكثر من المحبّة الطاهرة – المحبّة التي تطرد الخطيّة وتسود على القلب والحياة كليهما". وهذا هو ما وعظه: "إنّها المحبّة التي تطرد الخطيّة؛ المحبّة التي تملأ القلب، والتي تأخذ كامل سعة النفس... وطالما تأخذ المحبّة القلب بأكمله، فأي مكان للخطيّة في الداخل؟"[١٩] لقد انفصل وسلي بسبب إصراره على هذا الحق، عن زنزندورف. *الإيمان المكمَّل في المحبّة من خلال مِلء الروح، هو جوهر العقيدة الوسلية في الكمال المسيحي.*

ويتحدّث وسلي عن هذه العقيدة قائلًا: "إنّها الوديعة الجليلة التي أناطها الله بأناس يُدعَوْن الميثودستيين. يدعوها فيليب شاف (Philip Schaff) "عقيدة الميثودست الكبرى والأسمى". ويعرِّفها

هذا الفهم للخطيّة هو وجهة نظر وسلي المسيطرة عندما يطوِّر تعليمه عن التقديس. إذا كان جوهر الخطيّة علاقة فاسدة مع الله، فجوهر القداسة علاقة صحيحة مستردّة بالنّعمة. لذلك، بالنسبة لوسلي، كلّ القداسة أو الكمال هي في المسيح، وفي المسيح فقط؛ لأنّنا به فقط نُستردّ إلى الشركة مع الله. الخطيّة التي انتشرت في نفس الإنسان السّاقط كمرض البرص، تُشفَى بالنّعمة التي تأتي بواسطة المسيح.

> نحن لدينا هذه النعمة، ليست فقط من المسيح، بل أيضًا في المسيح. لأنّ كمالنا ليس مثل شجرة تُزهر بواسطة العصارة القادمة من جذرها، لكن... مثل الغصن الذي اتّحد بالكرمة، يحمل ثمرًا؛ ولكن إذا ما اقتُلِع منها، فإنّه يجفّ ويذبل.(١٦)

وتوجد أكثر العبارات فصاحة في وجهة نظر وسلي في الجزء الأخير من كتابه كونوا كاملين:

> أكثر الناس قداسة لا يزالون يحتاجون للمسيح، كنبي لهم، "كنور العالم". لأنّه لا يمنحهم النّور، بل أنّه، من لحظة إلى لحظة، يلاشي الظلمة كلّها. لا يزالون يحتاجون المسيح كملكهم، لأنّ الله لا يمنحهم كميّة ثابتة من القداسة. لكن إن لم يقبلوا إمدادًا من القداسة كلّ لحظة، فلن يبقى لديهم إلّا عدم القداسة. لا يزالون يحتاجون المسيح ككاهنهم، ليقدّم الكفّارة عن أشيائهم المقدّسة. حتّى القداسة الكاملة تكون مقبولة لدى الله من خلال المسيح فقط.(١٧)

لذلك يشرح وليامز وسلي بشكلٍ صحيح، عندما يقول: "القداسة التي بدونها لن يعاين أحد الله، والتي يتحدّث وسلي عنها، هي ليست

المسيحي، وتطبيقاتها العمليّة في الإرساليات، التعليم، والاهتمامات الاجتماعية".(٢٢)

ب- نحو لاهوت للكمال المسيحي

أحبّ في الصفحات الختامية لهذه الدراسة، أنْ أقترح خطوطًا عريضة لعقيدة الكمال المسيحي المعاصرة. متذكّرين المسار الذي اتخذناه عبر تاريخ الفكر المسيحي، لدينا بعض التوجيهات الختامية التي يجب أن تقال:

١- في المقام الأوّل، يجب أن يبدأ لاهوت الكمال المسيحي بتعريف واضح للخطيّة. ليس للخطيّة أي معنى بعيدًا عن سوء استخدام الحرية البشرية. وقد قال ج. س. وايل:

> إنّ جوهر الخطيّة، هو إنكار الإنسان المتمركز حول ذاته لعطيّته المتميّزة. قاعدتها النهائية، الكبرياء التي تعصى الله، وتنكر قصده. ما تظهره هو محبّة الذات، والتي "تغيّر مجد الله غير القابل للفساد، إلى صورة الإنسان القابلة للفساد". حريّة الروح البنوية، حرية الإنسان لله وفي الله، أُفسدت لتصير التحرّر من الله. تعني *Imago Dei* "يجب أن تصيروا كآلهة".(٢٣)

إذا كان اللاهوت الوسلي كتابيًّا، فيجب عليه أن يتخلّى عن الفهم الأوغسطيني للخطيّة الفطريّة أو الطبيعيّة كرغبة ملحّة باقية. يمكن أن يُفهَم الفساد الأخلاقي فقط، كنتيجة لخطية الكبرياء الأولى والأساسية (رو١: ١٨-٢٥). يقود الكبرياء الإنسان ليبحث عن الاكتفاء في الخليقة المحدودة، بدلًا من الخالق المجيد. إنّها بتركيز

فريدريك بلات (Frederic Platt) أنّها "العقيدة البارزة المميّزة" للميثودستية. وقال نولان هارمن (Nolan B. Harmon) في كتاب *Understanding the Methodist Church*:

> كانت عقيدة الكمال المسيحي المساهمة العقائدية المحدّدة التي قدّمتها الميثودستية للكنيسة العالمية. ويسمّيها جون وسلي "العقيدة الخاصة المرتبطة بثقتنا". كنّا في كلّ العقائد الأخرى، كما يجب أن نكون، تابعين فرحين وناشطين في تيار الإيمان المسيحي. ولكن بهذه العقيدة نُعدُّ نفوسنا ونتفوّه بتعليم يصل بلا خوف ويلمس سلطة الله الفعليّة.(٢٠)

يعترف الميثودستي جون بيترز (John L. Peters)، بكلّ صراحة، أنّه من الصعوبة المحافظة على أن تمسك العقيدة اليوم في وعظ وتعليم الكنيسة، كالمكانة المتميّزة التي أُعطيَت للعقيدة من خلال وسلي.(٢١) بينما هناك عدد وافر في الميثودستية الذين يقدِّرون عقيدة وسلي في الكمال المسيحي، فالإعلان لهذه الرسالة، انتقل بشكل كبير إلى طوائف حركة القداسة الحديثة. وهي تضمّ الكنيسة الوسلية، والكنيسة الميثودستية الحرّة، وجيش الخلاص، وكنيسة الله (أندرسون)، وكنيسة الناصري، بالإضافة إلى عدد كبير من مجموعات أصغر تحتوي عدّة اجتماعات سنويّة لجمعية الأصدقاء (Quakers).

منذ ستّينات القرن التاسع عشر، ظهرت شركة بين الطوائف التي تتبنّى العقيدة الوسلية، وأصبحت معروفة اليوم بمنظمة القداسة المسيحية. "كانت قوّتها الدافعة الرئيسية دائمًا نشر رسالة الكمال

يجب اقتلاعها. الخطيّة ليست كميّة (quantity)؛ لكنّها نوعيّة (quality). هي ليست مادة، لكنّها ظرف. الخطيّة كالظّلمة؛ يمكن أن تُطرَد فقط بالنّور. وتحدَّث وسلي أيضًا عن الخطيّة على أنّها المرض، وعن المسيح كالطّبيب العظيم. وهكذا، فالقداسة هي الصّحّة الروحيّة المستردّة؛ ولكن إذا أردنا المحافظة عليها، يجب علينا أن نطيع ناموس الله الأخلاقي والرّوحي. هذه هي المصطلحات الدّيناميكيّة الّتي يجب أن نفكِّر بها عن الخطيّة والقداسة. التقديس الكامل، ليس فِعْلًا سحريًّا يغيّر مادّة نفوسنا؛ إنّه وضع أخلاقي حرج (Moral crisis) يعيدنا إلى وجود يكون المسيح مركزه.

الدّخول إلى حياة الحرّية من الخطيّة والكمال هذه، تفترض ما يسمّيه وسلي "توبة المؤمنين" – تبكيت عن الخطيّة الباقية. المؤمن المبرَّر، من خلال التبكيت الأمين للرّوح القدس، يصبح بكلّ ألم مُدْرِكًا لخطيّته الداخلية – استمرار تمركزه على ذاته وتفكيره المزدوج. وكما يشرح ستانلي جونز (Stanley Jones) قائلاً:

"تجعلنا أزمة التحوّل نتحرّر من الخطايا المتقيّحة، وتشهد مقدّمة لحياة جديدة. التحوّل هو تحرّر مجيد، ولكنّه ليس تحرّرًا كاملًا. الخطايا المتقيّحة مضت، لكن جذور المرض ما تزال هناك. تمّ تقديم الحياة الجديدة، ولكنّها لا تملك بالكامل. الحياة القديمة تُخضَع، ولكنّها لم تستسلم بعد".(٢٦)

المرء على ما هو محدود، فتبدأ الرغبات الحسّية ذات المستوى الوضيع بالبروز لتطالب بالتسلّط عليه.(٢٤)

يجب أن تشفي النعمة المقدِّسَة الإنسان في جوهر كيانه؛ يجب أن يصلب حماسه وكبرياءه. وعندما يتمّ ذلك، تمتدّ نعمة الله الشافية، إلى كلّ مشاعره ورغباته، جاعلة إيّاه كاملًا.

٢- في المقام الثاني، يجب أن تتجنّب عقيدة الكمال المسيحي خطأ جعل الاختبار شأنًا سحريًا لا أخلاقيًا. من الطّبيعي أنّ صياغة واضحة لمشكلة خطيّة الإنسان ستجعلنا نتحاشى بالتأكيد هذا الخطأ. باعتراف الجميع، التطهير الذي يقوم به الروح القدس المقدِّس، يذهب إلى أعمق من وعْيِنا. لكنْ، يجب أن نصرَّ دائمًا أنّ الكمال المسيحي له بدايته، من الجانب البشري، في الأزمة الأخلاقية (Moral crisis) التي يسمّيها وسلي موت عن الخطيّة، واستمراريّتها بعلاقة ثابتة لثقة طائعة. رأى وسلي الناضج هذا بشكل واضح وحذّر، "أليس الحديث عن حالة التبرير أو التقديس، تتّجه إلى خداع وتضليل الناس؛ وبشكل طبيعي في الغالب، تقودهم إلى أنْ يثقوا في ما عُمِل في لحظة واحدة؟ بينما نُسرُّ أو نثير غضب الله في كلّ لحظة، وِفْقًا لأمزجتنا في الوقت الحاضر، وسلوكنا الخارجي".(٢٥)

يدافع وسلي هنا عن موقفه ضدّ جماعة وجّهت جهودها ضدّه، بأنّه يتحدّث عن الخطيّة كجُزء، أي كشيء مثل الأسنان النخرة والتي

ما يزال ينمو في النعمة، وفي معرفة المسيح، وفي محبّة وصورة الله، وسيستمرّ هكذا، ليس فقط حتّى يموت، بل إلى كل الأبدية.(٢٧)

٣- بينما يجب أن يسبق التقديس الكامل توبة المؤمن وموته عن الخطيّة، فإنّ الشرط الأساسي الذي لا مفرَّ منه هو الإيمان. "ولكن ما هو الإيمان الذي بواسطته نتقدّس ونتخلّص من الخطيّة، ونتكمَّل في المحبّة؟" اقرأ باهتمام بالغ إجابة وسلي.

أوّلًا، إنّه برهان وقناعة مقدَّسة أنّ الله قد وعد به في الكلمة المقدّسة. إلى أن نشبع بشكل شامل من هذا، لن يكون هناك خطوة أخرى أبعد لنمشيها. ويتخيّل المرء أنّه لا حاجة لكلام آخر لإشباع الإنسان العاقل، أكثر من هذا الوعد القديم، "سأختن قلبك وقلب نسلك من بعدك، لتحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك". ما أوضح هذا التعبير أن نكون مكمَّلين في المحبّة! ما أقوى الفكر المتضمّن في الوعد أن نكون مخلّصين من كلّ خطيّة! طالما تحتلّ المحبّة كلّ القلب، فأي غرفة هناك في الداخل للخطيّة؟

ثانيًا، إنّه برهان مقدّس وقناعة راسخة أنّ ما يعِد به الله قادر أن يفعله... إذا تكلّم الله يجب أن يكون. قال الله: " ليكن نور، فكان نور".

ثالثًا، إنّه برهان مقدّس وقناعة راسخة أنّ الله قادر وراغب أن يقوم به الآن. ولما لا؟ أليست لحظة عنده كألف سنة؟ هو لا يحتاج إلى وقت أطول لينجز ما يريده. هو لا يحتاج ولا ينتظر أي استحقاق أو لياقة أكثر من الأشخاص الذين يُسَرُّ أن يشرفهم. ولهذا السبب، يمكننا أن نقول بجرأة، في أي وقت من الزمن، "اليوم يوم خلاص!"...

وإلى هذه الثقة، أنّ الله قادر ويريد أن يقدّسنا الآن، توجد حاجة أن يضاف شيء واحد فقط، إنّه برهان مقدّس وقناعة راسخة أنّ الله

المؤمن الذي يشتاق للقداسة الشخصية، لا يقدر أن يُشبَع بواقع التفكير المزدوج هذا. فهو يجوع ويعطش للبرّ. وهو يحضر القضيّة إلى لحظة أزمة من خلال تسليم ذاته كليًا لله (انظر رومية٦: ١٩). هذا الموت عن الخطية يتقدّم إلى مستوى أكثر عمقًا من التسليم المبدئي للذات إلى المسيح لأجل غفران الخطايا والحياة الجديدة. دافعه لذلك إدانة عميقة للطبيعة الفاسدة لعبادة الذات. إنّها انكسار ـقلبٍ واعتراف صريح بالحقارة، بالشهوة، بالطموح، بالكبرياء، والأنانية، كما أنّها موت إرادي عن النفس، من خلال المحبّة لله. يجب أن نلتفت إلى نصيحة بولس: "قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله" (رو٦: ١٣).

هذا الموت عن الخطيّة لحظي وتدريجيّ، كما يقول وسلي:

> من الممكن أن يموت المرء لبعض الوقت؛ لكن في واقع لا نقول، أنّه مات، حتّى يحدث الانفصال اللحظي للنفس عن الجسد؛ وفي تلك اللحظة، فإنّه يعيش في الأبدية. وعلى الشاكلة نفسها، فإنّه من الممكن أن يموت المرء عن الخطيّة لبعض الوقت؛ لكنّه لا يكون ميتًا عن الخطيّة، حتّى تنفصل الخطيّة عن نفسه؛ وفي تلك اللحظة، فإنّه يعيش حياة المحبّة الكاملة. وكما أنّ التغيير الحاصل، عندما يموت الجسد، هو من نوع مختلف، أعظم بغير حدود من أي شيء عرفناه من قبل، نعم، مثل هذا من المستحيل أن يُفهَم؛ لذلك فالتغيير الحادث عندما تموت النفس عن الخطيّة، هو من نوع مختلف، أعظم من أي تغيير سبقه، وأي شخص يقدر أن يفهمه عندما يختبره. ومع ذلك فهو

ويلاحظ د. سل بطريقة وثيقة الصلة بالموضوع: "القداسة هي المصطلح الثالث عن إعلان الله الثالوثي. إنّ هذا هو الموقف الأعلى لعقيدة القداسة في الإيمان المسيحي وتفسيراته". ويقتبس بعد ذلك تعليق وسلي: "إنّ كلمة القدوس التي تأتي مع روح الله، لا تدلّ فقط على أنّه قدّوس بطبيعته، بل إنّه يجعلنا أيضًا مُقدّسين؛ إنّه ينبوع القداسة العظيم لكنيسته. الروح القدس هو المبادر في تغييرنا وفي التقديس الكامل لقلوبنا وحياتنا".(٣٠)

العقل، الكلمة المقدسة، والاختبار تمنحنا الشجاعة لنؤكد أنّه عندما يعترف المؤمن بخطيّته الباقية، ويقدّم قلبه بتسليم في المحبّة، ويثق بوعود الله، فإنّ الروح القدس يمتلك ويطهِّر القدس الداخلي من النفس ويغمر كيانه بمحبّة الله.

سؤال. ولكن كيف يمكنك أن تعرف أنّك مُقدَّس، ومخلَّص من فسادك الداخلي؟

جواب. أنا لا أقدر أن أعرف ذلك أكثر من معرفتي أنّي مبرّر. *نحن نعلم أننا من الله بواسطة الروح القدس الذي أعطاه الله لنا.* نعلم ذلك بشهادة وثمر الروح. وأولًا، بالشهادة. كما أنّنا عندما تبرّرنا، فالروح القدس شهد لأرواحنا، أنّ خطايانا قد غُفِرَت؛ كذلك، عندما نتقدّس، فإنّه يشهد أنّ تلك الخطايا قد طُرِحت بعيدًا.(٣١)

هذا هو التأكيد الكامل للإيمان. ويعلّق لايكورجاس ستاركي (Lycurgus Starkey): "هو أن تعلم داخليًا أنّ هيكلك قد تطهّر

سيعملها. في تلك الساعة عندما يعملها الله، فإنّه يقول إلى أعمق أعماق النفس، "بحسب إيمانك يكون لك". بعد ذلك تكون النفس نقيّة من لطخة الخطيّة؛ إنها نقيّة "من كلّ نجاسة". وبعدها يختبر المؤمن المعنى العميق لتلك الكلمات المقدّسة الجليلة في (١يو ١: ٧)، "ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كلّ خطيّة".[٢٨]

المحبّة الكاملة هي دائمًا عطيّة، يتمّ قبولها في أي لحظة بالإيمان البسيط. سيعمل الله عمله النهائي في التطهير في المؤمن المبرّر. ونشدّد القول، إنّها ليست من إنجاز الإنسان، ولكنّها عطيّة من الله. آمن بها، وادخلها!

٤- هكذا، فالعقيدة الكتابية للكمال المسيحي تعلن أنّ التقديس الكامل هو عمل الله الّذي يحرّر النفس من الخطيّة بواسطة الروح القدس، ويدشّن نموذجًا جديدًا للتكريس الداخلي.

إنّها خدمة الله الروح القدس "للدخول إلى أعماق الروح البشرية والعمل من داخل الإنسان بشكل ذاتي". من داخل بشريّتنا، يُحْيي الروح القدس ويقدّس ويقوّي. يحدث عمل الروح القدس الذي نصبح من خلاله كاملين "لأنّ نعمة الله ليست فقط أمرًا بدوننا، يظهر في موت المسيح وآلامه، ولكنّها قوة تعمل فينا، توجّه تأثيرها إلى مركز حصن رغباتنا. النّعمة الداخلية تعني أنّ الله شخصيًا يعمل في داخلنا. إنّه الله الروح القدس".[٢٩]

القداسة الإيجابية والاجتماعية. إنّ وسلي نفسه تراجع عن استخدام مصطلح "كمال بلا خطيّة"،[٣٥] حيث أنّ أكثر المسيحيين ورعًا، "وقفوا عاجزين أمام ناموس المحبّة" كما هو مكتوب في الإصحاح الثالث عشر من كورنثوس الأولى.[٣٦] وبسبب إهمالهم, فإنّ أولئك الذين كملوا في المحبّة صاروا مُذْنبين وهو ما يسمّيه وسلي "التعديات غير المقصودة"[٣٧] لناموس الله. "إنّها تلزم أنّ الأكثر كمالًا لديه حاجة مستمرّة لاستحقاقات المسيح، حتّى لتعدّياتهم الفعليّة، حيث يطلبون لأجل أنفسهم ولأجل إخوتهم كذلك، اغفرْ لنا ذنوبنا".[٣٨] وعلاوة على ذلك، "لا أحد يشعر بحاجته للمسيح كهؤلاء؛ لا أحد يعتمدون عليه بالكامل كالمسيح. لأنّ المسيح لم يعطِ حياة للنفس منفصلة عنه، لكنّها فيه ومعه هو نفسه". وبعد ذلك اقتبس كلمات يسوع المسيح، "بدوني [أي بشكل منفصل عني] لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا".[٣٩]

وهكذا يضع وسلي نقطتين مشروطتين. أوّلًا، الكمال المسيحي ليس كمالًا مُطْلقًا بل هو نسبي وِفْقًا لفهمنا لإرادة الله. لذلك، يشعر أكثر الأشخاص تقديسًا، بشكل عميق بهفواته وعدم كماله من ناموس المحبّة الكامل، ويحافظ على روح منفتحة ونادمة والتي تحميه من أن يكون فريسيًا. هو لا ينسى أبدًا أنّه مُبرّر، ليس بالأعمال، بل بالنعمة، وهكذا يتّكل بشكل كامل على الربّ. ثانيًا، هو يعلم أنّ

بواسطة الله، الذي يبقى بكامل ملء روحه القدوس، لأنّ تكريسه هو محتوى وأهميّة هذا التأكيد الكامل".(٣٢)

٥- والميزة البارزة الأخيرة للاهوت الكمال، هي تمييز صريح لطبيعته النسبية. إنّه الكمال الإنجيلي. أنشأ الله ناموسًا آخر مكان الناموس الموسوي من خلال يسوع المسيح، يسمى ناموس الإيمان. وكما يذكّرنا وسلي: "ليس لكلّ مَنْ يعمل، بل لكلّ مَنْ يؤمن، والآن يقبل البرّ... أي أنّه، مُبرَّر، مُقدَّس، ومُمَجَّد".

هل المحبّة هي تتميم للناموس؟

دون أدنى شك، إنّها كذلك. الناموس كلّه الذي نحيا تحته الآن يُتمّم بالمحبّة (رو١٣: ٩-١٠). الإيمان العامل الذي يتحرّك بالمحبّة هو كلّ ما يطلبه الله من الإنسان.

كيف تكون المحبّة "غاية الوصايا"؟

إنّها النقطة التي يهدف إليها كلّ جزء من الدستور المسيحي. الأساس هو الإيمان، تطهير القلب؛ والمحبّة النهائية، التي تحفظ ضميرًا صالحًا.

ما نوع هذه المحبة؟

هي أن نحبّ الربّ إلهنا من كلّ قلبنا، وفكرنا، ونفسنا، وقوّتنا، وأنْ نحبّ قريبنا كنفسنا".(٣٣)

ويفكر سانجستر (W.E. Sangster) أنّ "المحبّة الكاملة" هي الاسم الحقيقي للعقيدة الوسلية.(٣٤) هذا الاسم يركّز على طبيعة

تعيق أهداف الله، وتحيزاتنا التي تجلب لنا ضغوطًا عاطفية، وتجعلنا أحيانًا نتصرّف "خارجين عن نطاق شخصيّتنا، "أيضًا خصوصيّاتنا المزاجية، كللنا ومللنا واضطراباتنا البشرية، وألف خطأ ورثها جسدنا المائت. "ولكن لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منّا"(٢كو ٤: ٧).

يجب أن تضع العقيدة المتماسكة الوافية حقّ الكمال المسيحي في داخل إطار هذا "الزمن الحاضر"، الذي يتّصف بكلّ "ضعفات الجسد" تلك. وهكذا يعلن بولس في رومية ٨: ٢٤ أنّنا "بالرجاء خلصنا"– رجاء تلك الضربة النهائية للنعمة السامية التي ستكمّل عمل التقديس العظيم، والذي بدأ عندما آمنا وتجدّدنا. هذا هو رجاء القيامة. يتّفق وسلي مع كارل بارث، والّذي يعلّق على هذا الجزء من رومية، "إذا لم تكن المسيحية مرتبطة بشكل لا ينقطع ولا يهدأ بالأخرويات – أي علم الأيام الأخيرة–، فلن يبقى لديها أي شركة مع المسيح".[٤٠] في الحقيقة إنّ لاهوتنا هو "لاهوت الرجاء".

بعض الناس يزدرون بعقيدة "الكمال غير الكامل" هذه، لكن أن ننكر إمكانية أن نصير مُقَدّسين بالروح القدس، وأن نعرف محبّة الله الكاملة لأنّنا ما نزال كائنات محدودة خاضعين لمحدوديات وجودنا الأرضي، معناه أن نفقد أمرًا حيويًا هامًّا لمسيحية العهد الجديد. لهذا السبب، نحن نلجأ "للمعضلة الوسلية" بخصوص الكمال

المحبّة الكاملة التي هي عطية الله له من خلال الروح القدس، هي "لحظة بلحظة" عطيّة المسيح لنفسه. ويعترف مثل هذا الشخص مع بولس: "فإنّي أعلم أنّه ليس ساكن فيّ، أي في جسدي [دون أن يكون المسيح ساكنًا فيَّ]، شيء صالح"

(رو٧: ١٨). ليس هناك أي حجرة للتبجّح محفوظة في نعمة المسيح، التي تسكب محبّة الله (*agape*) في داخلي.

الأساس الكتابي لوجهة النظر هذه "الكمال غير الكامل" توجد في فيلبي ٣: ١١-١٥ ورومية ٨: ١٧- ٢٧. مع أنّنا بواسطة نعمة الله يمكننا أن نبلغ النضج الروحي (المحبّة المكمَّلة)، نحن ما نزال بحسب كلمات ستانلي جونز، "مؤمنون في طور التصنيع". نحن لم نبلغ بعد إلى مشابهة المسيح بشكل نهائي، والتي يطالبنا بها الله من خلال البشارة المقدّسة، ولكن لدينا هدف واحد وهذا يسمح للروح القدس أن يحملنا باتجاه ذلك الهدف بثبات (عب٦: ١).

تذكرنا رسالة رومية أنّ وجودنا المسيحي في الروح القدس هو وجود في وقت "زمن بين الأزمنة"، أي في الوقت الحاضر، في وقت ما بين يوم الخمسين والمجيء الثاني. بنعمة الله نحن لن نكون بعد ذلك "في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكنا فينا"(رو٨: ٩). لكنّنا ما نزال في جسد لم يتمّ افتداؤه، وعلينا أن نعاني من "نقائص الجسد"- الآثار العنصرية للخطيّة في أجسادنا وعقولنا، الندب نتيجة لحياتنا الخاطئة في الماضي، أحكامنا المسبقة التي

المراجع

المسيحي. لا يتمّ الحصول على الحق الكامل، بإزالة التوتّر بين القطبين "كامل" و "لم يكمل بعد"، لكن من خلال حمل كلا الحقّين بتأكيد متساوٍ. وهكذا فقط، تنمو وتزدهر الحياة المسيحية إلى صورة مشابهة المسيح.

نحن نؤمن أنّ الله أودعنا نحن، الذين ندعو أنفسنا وسليين، "وديعة عظيمة وجليلة" لتعليم العهد الجديد عن جوهر القداسة. إذا توقّفنا عن إصرارنا وبحثنا عن هذا الكمال في المسيح، وإذا فشلنا في أن نجعل هذا التأكيد بؤرة حقيقة الخلاص في وعظنا وتعليمنا، وإذا لم نحصل، بالانكسار والشفافية أمام الله، على البركة الكاملة ليوم الخمسين في حياة الأفراد وفي حياة الكنيسة، فإنّنا سنخسر حقّ بكوريتنا كأتباع لجون وسلي. وأكثر الأمور حزنًا، أنّنا سنخيب ظنّ الله فينا، الذي أوكل إلينا مهمة "نشر القداسة الكتابية" إلى أقصى الأرض.

4- Solonom Schechter, *Some Aspects of Rabbinic Theology* (New York:: The Macmillan Co., 1910), p. 199.
5- Isaiah uses the term at least 30 times.
6- Gustaf Aulen, *The Faith of the Christian Church*, trans. By Eric H. Wahlstrom (Philadelphia: Fotress Press, 1960), p. 159.
7- Jocob, *Theology of the Old Testament*, p. 88.
8- Emil Brunner, trans. By Olive Wyon, *The Christian Doctrine of God* (London: Lutterworth Press, 1960), p. 159.
9- Snaith, *Distinctive Ideas of the Old Testament*, p. 47.
10- C. Ryder Smith, *The Bible Doctrine of Man* (London: The Epwoth Press, 1951), p. 46.
11- Alfred Edersheim, *Bible History: Old Testament* (Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Co., 1949 reprint), 2: 110.
12- John Wick Bowman, *Prophetic Realism and the Gospel* (Philadelphia: Westminster Press, 1955), pp. 161-63.
13- Walther Eichrodt, *Theology of the Old Testament*, trans. By J. A. Baker (Philadelphia: Westminster Press, 1961), 1:137.
14- George Allen Turner, *The Vision Which Transforms* (Kansas City: Beacon Hill Press, 1964), p. 41.
15- Turner, *More Excellent way*, p. 57.
16- Howard V. Miller, *When He Is Come* (Kansas City: Beacon Hill Press, 1941), p. 10.
17- *Works*, 11:375.
18- H. Orton Wiley, *Christian Theology* (Kansas City: Beacon Hill Press, 1945), 2:480.
19- Turner, *More Excellent Way*, p. 83.
20- *Works*, 5:150.
21- Wiley, *Christian Theology*, 2:480.
22- Leon Morris, *The Epistles of Paul to The Thessalonians* (Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishings Co., 1957), p. 107.
23- *Ibid.*, p. 108.
24- Quoted by Turner, *More Excellent Way*, p. 95.
25- John Wisley, *Explanatory Notes upon the New Testament* (London: The Epworh Press, 1950 edition), p. 735.

مراجع الفصل الثالث

1- William Burton Pope, *A Compendium of Christian Theology* (London: Published for the Wesleyan Conference Office, 1880), 3:61.
2- Ibid.
3- A. C. McGiffert, *A History of Christian Thought* (New York: Charles Scribner's Sons, 1949), 1:30.

مراجع الفصل الأول

1- Donald S. Metz, *Studies in Biblical Holiness* (Kansas City: Beacon Hill Press of Kansas City, 1971), p. 13.
2- Rudolph Otto, *The Idea of the Holy*, trans. By John W. Harvey (London: Oxford University Press, 1924).
3- "*A Plain Account of Christian Perfection*," The Works of John Wesley (Kansas City: Nazarene Publishing House, n.d.), 11:367-68.
4- "The scripture way of Salvation," *Works*, 6:46.
5-: يعتمد الكاتب في هذه الفقرة على المعالجة المتازة للموضوع
Metz, *Studies in Biblical Holiness*, pp. 15-20.
6- E. L. Lueker, ed., *Lutheran Cyclopedia* (St. Louis: Concordia Publishing House, 1954), p. 942.
7- *Encyclopedia of Religion and Ethics*, ed. James Hastings (New York: Charles Scribner's Sons, 1928), 11:181.
8- Herbert Girgensohn, *Teaching Luther's Catechism*, trans. By John W. Doberstein (Philadelphia: Muhlenberg Press, 1959), p. 180.
9- John F. Walvoord, *Doctrine of the Holy Spirit* (3rd ed.: Findlay, Ohio: Dunham Publishing Co., 1958), pp. 208-210.
10- Goerge Allen Turner, *The More Excellent Way* (Winona Lake, Ind.: Light and Life Press, 1952), p. 87.
11- *Works* 8:285.
12- *Works*, 6:45.
13- *The Assembly's Shorter Catechism* (Perth, Scotland: 1765), p. 222.
14- Abraham Kuyper, *The Work of the Holy Spirit*, trans. By Henri Devries (New York: Funk and Wagnalls, 1900), p. 449.
15- *Works*, 6:509 (italics added).
16- W. E. Sangster, *The Path to Perfection* (New York: Abingdon-Cokesbury Press, 1943), p. 78.
17- Metz, *Studies in Biblical Holiness*, P.20.
18- *Works*, 11:446.
19- *Ibid.*, p. 383.
20- *Works*, 6:6.

مراجع الفصل الثاني

1- Quoted by H. Orton Wiley and Paul Culbertson, *Inroduction to Christian Theology* (Kansas City: Beacon Hill Press, 1945) p. 297.
2- Edmond Jacob, *Theology of the Old Testament*, trans. By Arthur W. Heathcoat and Philip J. Allcock (New York: Harper and Brothers, 1958), p. 86.
3- Norman H. Snaith, *The Distinctive Ideas of the Old Testament* (London: The Epworth press, 1960), p. 43.

15- *Quis Dives Salvetur*, 37.
16- *Flew, Idea of the Perfection*, p. 145 (quoting *Stormateis*, iv. 22, 135-138).
17- *Stromateis*, VI. xlii.
18- *De Principiis*, pref. 3.
19- *Contra Celsus*, i. 19.
20- *Flew, Idea of the perfection*, p. 153.
21- *Comm. Matt.* xii. 36.
22- *Comm. Rom.* v.5.
23- *Ibid.*, 8.
24- *Contra Celsus*, iii. 69.
25- *De Principiis*, III. i. 18.
26- *Ibid.*, 19.
27- *Flew, Idea of Perfection*, p. 151.
28- *Comm. Rom.* v. 9.
29- *Hom. In Leviticum*, xii.4.
30- McGiffert, *History of Christian Thought*, 1:221.
31- Williston Walker, *A History of the Christian Church* (New York: Chas. Scribner's Sons, 1944), p. 104.

مراجع الفصل الخامس

1- Flew, *Idea of Perfection*, p. 158.
2- *Vit. Ant.*, i.3.
3- Flew, *Idea of Perfection*, p. 164.
4- *Reg. Fus. tract.*, 8. 350D; 5. 342C.
5- *Moralia*, lxx. 22; 318B, C.
6- *Reg. brev. tract.*, 280, 296.
7- Paul Tillich, *A History of Christian Thought*, ed. By Carl Braaten (New York and Evanston: Harper and Row, Publishers, 1968), p. 145.
8- Unless otherwise indicated, all references to the *Homilies* are from John Wesley's *A Christian library*, "Consisting of Extracts from and Abridgements of the choicest pieces of Practical Divinity which have been published in the English tongue. In Thirty Volumes. By John Wesley. Vol. I. London: T. Cordeus, 1819."
9- *Homilies*, IV. 9.
10- *Ibid.*, 2.
11- *Ibid.*, 3.
12- Cited by Flew, *Idea of Perfection*, p. 182. Wesley's abridgement omits this quotation.
13- *Homilies*, VI. 4.
14- *Ibid.*, XI. 1.
15- *Ibid.*, XIX. 1.

4- Barnabas 21:1-2.
5- 2 Clement 6:7.
6- Cited by Wiley, *Christian Theology*, 3:449.
7- Ibid.
8- Cited by Pope, *Christian Theology*, 3:62.
9- Ibid.
10- McGiffert, *History of Christian thought,* p. 132.
11- *Againt Heresies*, III, 18. 7.
12- *Ibid*., 23. 1.
13- *Ibid*., sviii, 6-7 (italics added).
14- Gustaf Aulen, trans. By A. G. Hebert, *Christus Victor* (New York: The Macmillan Company, 1945), p. 20.
15- *Against Heresies*.
16- *Ibid*., V, 15.a.
17- *Ibid*., II, xxii. 4.
18- Aulen, *Christus Victor,* p. 22.
19- *Ibid*., p. 31.
20- R. Newton Flew, *The Idea of Perfection* (London: Oxford University Press, 1934), p. 125.
21- *Ibid*., p. 127.
22- *Against Heresies*, III, xvii. 1.
23- Quoted by Pope, *Christian Theology*, 3:62.
24- *Demonstration*, c.97 (149-150)

مراجع الفصل الرابع

1- C. Mondesert, *Clement d'Alexandrie* (Paris: 1944), p. 265.
2- Ed. Roy Joseph Deferrari (New York: 1954).
3- Simon P. Wood, *Christ the Educator* (Fathers of the Church, Inc.: 1954), p.25.
4- *Paedagogus*, I. Vi (28).
5- *Christ the Educator*, p.5.
6- *Ibid.*
7- Flew, *Idea of the Perfection*, p. 139.
8- *Protrepticus*, X.
9- *Stromateis*, I,v (28,1).
10- *Ibid*., iii.
11- *Ibid*., VII, x (italics added).
12- The perfection of the *Paedagogus*-knowing God through faith in Christ.
13- Flew, *Idea of the Perfection*, pp. 141-142.
14- *Sromateis*, V.i.

37- *Ibid.*, p. 102.
38- *Ibid.*
39- *Ibid.*, pp. 102-3.
40- *Ibid.*, p. 103.
41- *Ibid.*
42- *Ibid.*, pp. 104-105.
43- *Ibid.*, p. 110.
44- *Ibid.*, p. 115.
45- *Ibid.*, p. 121.
46- *Ibid.*
47- *Ibid.*, p. 122.

مـراجع الفصل السادس

1- Wiley, *Christian Theology*, 2:449-450.
2- John L. Peters, *Christian Perfection and American Methodism* (New York and Nashville: Abingdon Press, 1946), pp. 198-99.
3- *Retractions*, 1:19.
4- *De natura et gratia*, 41-42.
5- Williston Walker, *A History of the Christian Church* (New York: Chas. Scribner's Sons. 1944), p. 179.
6- *Epistolae*, 187:21.
7- *De spir. et lit.*, 22.
8- *De trinita*, xiv:12.
9- *De mor. eccl. Cath.*, 31.
10- *Ibid.*, 49.
11- *De civ. Dei*, xix:5.
12- *Ibid.*, xxii:30.
13- *De serm. Dom. in monte*, i:4, 12.
14- *Retractions*, i:19 (Latin, "O death, where is thy sting?").
15- *De civ. Dei*, xiv:15, 16.
16- *Ibid.*, 24.
17- *Ibid.*, 23.
18- John Wesley, *Explanatory Notes upon the New Testament* (London: The Epworth Press, n.d.), P. 545
19- J. A. T. Robinson, *The body, a study in Pauline Theology* (London: SCM Press, n.d.), p.32.
20- "كما يشدّد بولتمان وهو على حق (لاهوت العهد الجديد، ١: ٢٣٥)، فكْر الجسد يرمز بشكل أولي إلى رفض اعتماد الإنسان على الله والثقة في جهوده البشرية أو أصلها بشري. وهكذا عندما يسأل بولس الغلاطيين، «أبعدما ابتدأتم بالروح تكمّلون الآن بالجسد؟»(غلا٣:٣)، فهو لا يشير إلى السقوط في الشهوات الحسّية، ولكن إلى العودة للاتّكال على الناموس. إنّ الجسد مهتمّ بخدمة «الحرف»(رو٧: ٦؛ رو٢: ٢٨)، الذي هو من «الناس»(رو٢: ٢٩)، ويمثّل الاكتفاء البشري الذاتي. (روبنسون، إيبيد، ص٢٥).

16- *Ibid.,* VIII. 2.
17- *Ibid.,* IX. 4.
18- *Works*, 6:45-46.
19- *Homilies*, XI.2.
20- *Ibid.,* 3, 4; also XI.8.
21- *Ibid.,* 10.
22- *Ibid.,* 11.
23- *Ibid.,* XII. 8.
24- *Ibid.*
25- *Ibid.,* XIV. 1, 2, 4, 5; XV. 4.
على الأغلب مكاريوس يعني "بالرغبة الطبيعية للخطيّة" مجموع الرغبات المحرّمة والتي تُنزل كارثة بالنفس التي تحصّنت «على شكل آدم». الغائب من العظات هو أي انهماك أو انشغال بالجنس. وينظر إلى الخطيّة على أنّها الأنانية بكلّ مظاهرها. بحسب هذا الفصل، وفي عدد من الاقتباسات المشابهة، من الصّعب أن نرى لماذا ينكر «فلو» على مكاريوس عقيدة التطهير الكامل.
26- *Ibid.,* XV. 5.
27- *Ibid.,* XXI. 3; cf XVIII.6.
28- *Ibid.,* XIX. 7 (Italics his)
29- *Ibid.*,XV. 4.
30- Cited by Flew, *Idea of Perfection*, p. 182. Wesley's abridgement omits this quotation.
31- كانت تسود في أيام وسلي، فكرة أنّ عظات مكاريوس هي عبارة عن أعمال مكاريوس المصري (٣٠١- ٩١). لكن، وضع الباحث الكاثوليكي ويرنر ليجر (Warner Laeger) نظريّته: أنّ المؤلّف لم يكن المصري من القرن الرابع "أب الصحراء"، لكنّه كان راهبًا سوريًا في القرن الخامس، والذي استقى مفهومه للحياة المسيحية بشكل خاص من جريجوري النيسي. وحسب وجهة النظر هذه، في الكتابات المفترضة أنّها لمكاريوس المصري، كان جون وسلي على اتصال بجريجوري النيسي، "أعظم جميع معلّمي الكنيسة الشرقية في بحث الكمال".
(Albert C. Outler, *John Wesley* [New York: Oxford University Press, 1964] p9. fn. 26)
لكن يميّز المرء اختلافًا واضحًا للطابع أو النغم الروحي بين مكاريوس وجريجوري. كتاب العظات لمكاريوس صوفي أو باطني، بينما أبحاث جريجوري فهي فلسفية. لا يفحص جريجوري حقيقة اشتراكنا مع المسيح، فبالنسبة له ربّنا يسوع المسيح هو طراز أصلي للكمال، أكثر من أنّه المسيح السّاكن في الداخل الذي يجدّد نفسه للمؤمن (موقف مكاريوس). وإذا حقيقةً كان مؤلّف العظات هو راهب سوري غير معروف، فإنّ ذلك الراهب حوّل فكر جريجوري بطريقة مميّزة.
32- Virginia Callahan, *St. Gregory of Nyssa Ascetical works*, "The Fathers of the Church" (Washington D.C.: The Catholic University of America, 1967), p. 93. The following quotations from Gregory come from "On Perfection," translated by Callahan in this volume.
33- "On Perfection," pp. 96-7.
34- *Ibid.,* p. 98.
35- *Ibid.,* p. 99.
36- *Ibid.,* p. 100.

38- *Ibid.*, p. 161.
39- *Ibid.*, p. 155.
40- *Ibid.*, p. 41
41- *Ibid.*, p. 27.
42- *Ibid.*, p. 23.
43- *Ibid.*, p. 53.
44- *Ibid.*, p. 18.
45- *Ibid.*, p. 55
46- *Ibid.*
47- *Ibid.*, p. 56.

مراجع الفصل الثامن

1- Article 27.
2- Quoted by Flew, *Idea of Perfection*, p. 251.
3- *Ibid.*, p. 252.
4- *Ibid.*, p. 248.
5- *Ibid.*
6- Hermann, *Communion with God*, E. tr. 143.
7- *Werke* (Enlargen ed.), xxv. 334.
8- Hermann, *Communion with God*, E. tr. 249.
9- Herbert Girgensohn, *Teaching Luther's Catechism*, p. 180 (Quoted by Donald Metz, *Studies in Bibical Holiness*, p. 16).
10- *Works of Martin Luther* (Philadelphia: Westminster Press, 1932), 6:449, 450, 451.
11- Flew, *Idea of Perfection*, p. 250.
12- ويقول لوثر في شرحه سفر التكوين "لكن الآن، منذ خطيَة السقوط، يعرف الجميع كم هي كبيرة كبيرة إثارة الجسد؛ والتي ليست فقط في الرغبة المهتاجة، ولكنّها أيضًا مثيرة للغثيان ومقرفة، بعد أن أشبعت رغبتها".

Hugh Thompson Kerr, *A Compend of Luther's Theology* (Philadelphia: Westmenster Press, 1943), p. 81.
13- *Epistle Sermon, Pentecost Sunday* (Kerr, Compend, p. 69).
14- *An argument in Defence of All the Article of Dr. Martin Luther Wrongly Condemned in the Roman Bull* (Kerr, compend, p. 86).
15- *Table-Talk* No. CCLVI.
16- *Commentary on Peter and Jude* (Kerr, Compend, p. 114).
17- *Commentary on Genesis* (Kerr, Compend, 83; Luther's italics).
18- *On the Councils and the Churches* (Kerr, Compend, p. 133).
19- *Institutes of the Christian Religion, by John Calvin*, trans. John Allen (Philadelphia: Board of Christian Education, n.d.), 1:654.
20- *Ibid.*, p. 657.
21- *Ibid.*, p. 658.

مراجع الفصل السابع

1- Flew, *Idea of Perfection*, p. 219.
2- *In cant. S.*, 15.6.
3- *Ibid.*, 20.6, 8.
4- *Ibid.*, 9.7-8.
5- Walker, *History of the Christian Church*, p.270. cf. Leo XIII, "Aeterni Patris" (Encyclical, 4 August, 1879).
6- *Idea of Perfection*, pp. 230-43.
7- *Ibid.*, p.232.
8- *Ibid.*, p.239.
9- *Summa Theologica*, III, q. 93, a.1.
10- Flew, *Idea of Perfection*, p. 237.
11- *De Perfectione*, c. xii.
12- *Summa Theologica*, I, 11, 2. iv, a. 8.
13- Flew, *Idea of Perfection*, p. 243.
14- *Ibid.*
15- Werner, *Duns Scotus*, 2 (quoted by Flew, p. 258).
16- *Introduction to the Devout Life*, i. c. 3.
17- *Treatise*, i, c. 11.
18- *Ibid.*, 12.
19- *Ibid.*, vi. c. 3.
20 *Ibid.*
21- *Ibid.*, i, c. 15.
22- Inge, *Christian Mysticism*, p. 231 (quoted by Flew, p.260).
23- *Oeuvres*, xii. 385.
24- Ibid., 359, 363.
25- Peters, *Christian Perfection and American Methodism*, pp. 198-199.
26- Charles F. Whiston, ed., *Christian Perfection*. Trans. Mildred Whitney Stillman (New York and London: Harper & Brothers Publishers, 1947), p. 9.
27- *Ibid.*, p. 21.
28- *Ibid.*, p. 31.
29- *Ibid.*, p. 36.
30- *Ibid.*, p. 33.
31- *Ibid.*, p. 34-35.
32- *Ibid.*, p. 43.
33- *Ibid.*, p. 44.
34- *Ibid.*
35- *Ibid.*, p. 51.
36- *Ibid.*, p. 58-59.
37- *Ibid.*, p. 160 (italics added)

3- Albert Outler, *John Wesley* (New York: Oxford University Press, 1964), p. viii.
4- Wesley, *Works*, 7:204-5.
5- *Ibid.*, 11:441-442.
6- *Ibid.*, 366-67.
7- Flew, *Idea of Perfection*, p. 397.
8- Colin W. Williams, *John Wesley's Theology Today* (London: Epworth Press, 1960), p. 174 (italics added).
9- Cited by Williams, *ibid.*, p. 176.
10- Cell, *Rediscovery of John Wesley*, pp. 297-310.
11- Wesley, *Works*, 11:415.
12- *Explanatory Notes upon the New Testament*, loc. cit., italics added.
13- *Ibid.*
14- Wesley, *Works*, 6:60.
15- William R. Cannon, *The Theology of John Wesley* (Nashville: Abingdon-Cokesbury Press, 1946), p. 193.
16- Wesley, *Works*, 11:395.
17- *Ibid.*, 417.
18- Williams, *John Wesley's Theology Today*, p. 175.
19- Wesley, *Works*, 6:46.
20- Cited by Peters, *Christian Perfection and American Methodism*, p. 196.
21- Ibid., pp. 195-96.
22- William S. Deal, *The March of Holiness Through the Centuries*, (Kansas City: Beacon Hill Press of Kansas City, 1978), p. 91.
23- J. S. Whale, *Christian Doctrine* (New York: The Macmillan Co., 1945), p. 45.
24- Cannon, *Theology of John Wesley*, p. 193.
25- Minutes of 1770.
26- E. Stanley Jones, *Abundant Living* (New York: Abingdon-Cokesbury Press, 1958), p. 209.
27- Wesley, *Works*, 11:402.
28- Ibid., 6:52-53.
29- C. W. Lowry, *The Trinity and Christian Devotion* (New York: Harper and Bros., 1946), p. 74.
30- Cited by Cell, *Rediscovery of John Wesley*, p. 353.
31- Wesley, Works, 11: 420.
32- Lycurgus Starkey, *The Work of the Holy Spirit* (New York: Abingdon Press, 1962), p. 67.
33- Wesley, *Works*, 11:414-15.
34- W. E. Sangster, *The Path to Perfection* (New York: Abingdon Press, 1944), pp. 142-49

22- *Ibid.*, pp. 746-47.
23- *Ibid.*, p. 749.
24- *Ibid.*, p. 659.
25- *Ibid.*, p. 660.
26- *Ibid.*, p. 664.
27- *Ibid.*, p. 672 (italics added)
28- *Ibid.*, 2:60.

مراجع الفصل التاسع

1- *History of Dogma*, vii. 267 (cited by: Flew, *Idea of Perfection*, p. 257).
2- George Allen Turner, *The Vision Which Transforms* (Kansas City: Beacon Hill Press of Kansas City, 1964), p. 182.
3- *Ibid.*, p. 183.
4- *Ibid.*, p. 184.
5- Flew, *Idea of Perfection*, pp. 276-77.
6- *Ibid.*, p. 281.
7- *Ibid.*, p. 282.
8- George Fox , *Journal*.
9- *Ibid.*
10- *Ibid.*
11- *Ibid.*
12- Cited by Turner, *The Vision Which Transforms*, p. 180.
13- *A Testimony to the Truth of God* (cited by Flew, *Idea of Perfection*, p. 287).
14- Cited by Flew, *Idea of Perfection*, p. 288.
15- *Ibid.*, p. 289.
16- *Journal* (cited by Flew, *Idea of Perfection*, p. 291).
17- *Ibid.*, p. 292.
18- *Ibid.*
19- Wesley, *Works*, 1:86.
20- *Ibid.*, p. 103.
21- *Ibid.*, p. 140.
22- *Ibid.*, p. 117.
23- *Ibid.*, p. 308.
24- *Ibid.*, pp. 323-25 (translated by Flew, *Idea of Perfection*, pp. 278-79).
25- Wesley, *Works*, 11:370.

مراجع الفصل العاشر

1- George Croft Cell, *The Rediscovery of John Wesley* (New York: Henry Holt and Co., 1935), p.347.
2- *Ibid.*, p. 359.

35- Wesley, *Works*, 11:418.
36- *Ibid.*, 417.
37- *Ibid.*, 396.
38- *Ibid.*, 394-95.
39- *Ibid.*, 395.
40- Karl Barth, *The Epistle to the Romans*, trans. Edwyn Hoskins (London: Oxford University Press, 1933), p. 314.